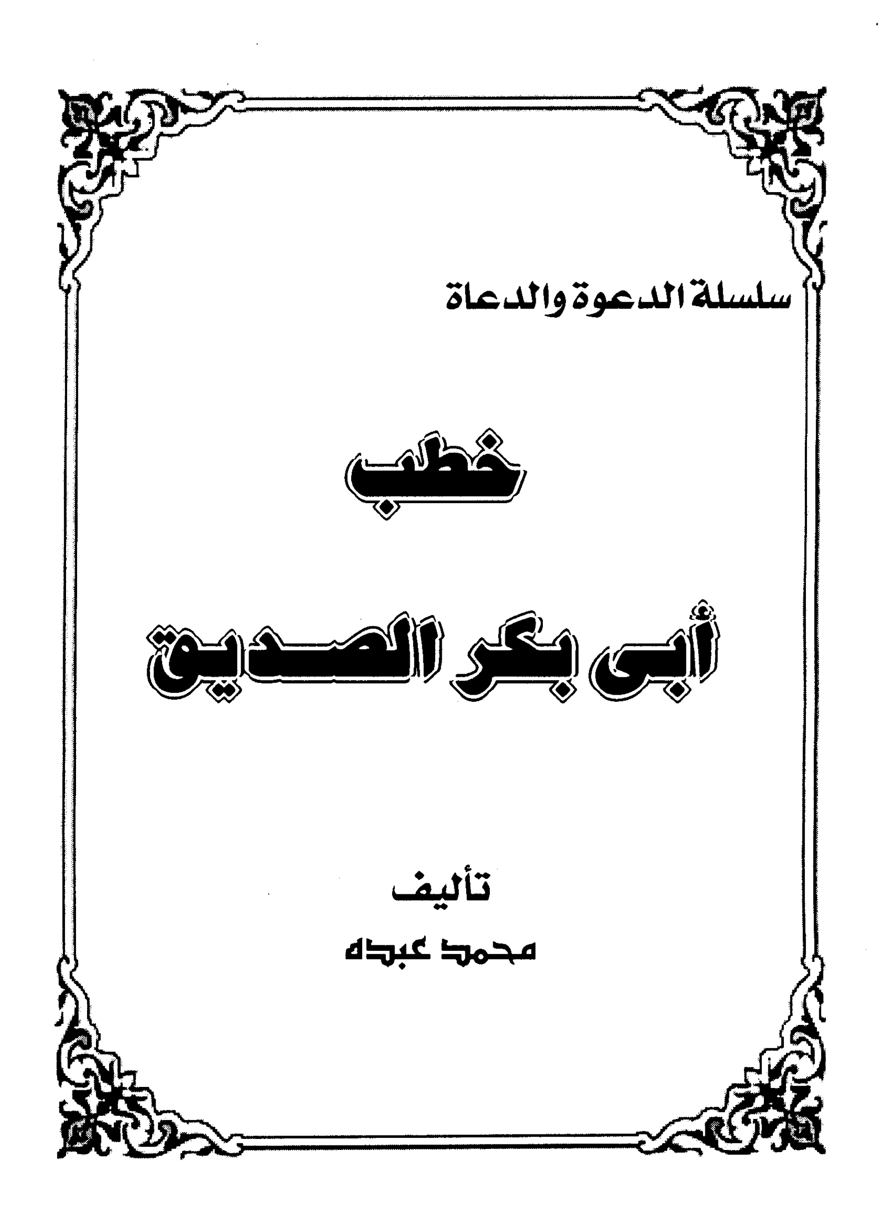


سلسلة الدعوة والدعاة

خطب

أبى بكر الصديق

تأليف

محمد عبده

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
تليفون: ٢٢٥٧٨٨٢

المقدمة

إن الحمد لله الذى أودع فى الناس البصائر، فمنهم مهتد ومنهم ضال وحائر، كتب منذ القدم أنه «لا إله إلا أنا فاعبدون» فمن الناس من حاد عنها، ومنهم بها يهتدون، ولله فى كل تحريكة وتسكينة آية تدل أبدا على أنه رب الحياة والمنون.

فوا عجبا كيف يعصى الإله؟
أم كيف يجحده الجَاحدُ؟
ولله في كل تحريكة
وتسكينة أبداً شَاهَدُ
وفى كل شيء له آية
تدل على أنه واحد

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيد الخلق وخاتم المرسلين، سيدنا محمد صلوات ربى وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

ألا أكرم بأحمد ذى الأيادى
شفيع الناس فى يوم التناد
إذا نشر الخلائق من قبور
عراة يبتغون ندا المناد

فيا رب أسألك شفاعة الحبيب لى يوم الحشر والميعاد.

ثم أما بعد:

فإن الصحابة - رضوان الله عليهم - مشاعل من نور، ونجوم فى سماء الهدى، وضياء لأرض التقى، من اراد الحياة فليحيا بعلمهم، ومن أراد الموت فليمت بالإعراض عن ذكرهم، فو الله ما أفلح من لم يتبع خطاهم، فخطاهم مما علمهم رسول الله ﷺ، ومن كان معلمه رسول الله ﷺ لهو أحرى بأن يتبع، لذا أحباب رسول الله ﷺ رأيت أن نسير سويا ونمضى مع الصحابة - رضوان الله عليهم - ونتعلم منهم الخطابة والموعظة، فنعلم ونعمل ونسأل الله عزّ وجلّ القبول، ورأيت أيضا أن نبدأ بأميرهم وقائدهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه.

لحديث رسول الله ﷺ «إن من أمَنِّ الناس علىَّ فى صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت مُتخذاً خليلاً غير ربى لاتخذت أبا بكر، ولكن أُخُوَّة الإسلام وَمَوَدتُهُ، لا يَبْقَيَنَّ فى المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبى بكر» (١)

وقول عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: أبو بكر سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ (٢)

وقول على بن أبى طالب فى تفسير آية ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٣) قال: الثابتين على دينهم، أبا بكر وأصحابه، وكان أبو بكر أمير الشاكرين (٤)

وقال حسان بن ثابت:

إذا تذكَّرْتَ شجواً من أخى ثِقةٍ
فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

---

(١) البخارى: ٤/٥٠
(٢) الترمذى: ١٠/١٤٠
(٣) آل عمران الآية: ١٤٤
(٤) كنز العمال: ٢/٣٧٨

خـــيــر البـــرية أتقــاها وأعــدلهــا
بعــد النبى وأوفــاها بما حَـمَــلا
والثَّـانى التـالى المحـمود مَـشْـهدُهُ
وأوَّل النـاس حـقــا صــدَّق الرُّسُــلا
عــاش حَـمِـيـداً لأمـر الله مُـتَّـبـعـاً
بهَـدْىِ صـاحبـه الماضـى ومَا انْتَـقَـلا

حقا يا صديق الأمة، أنت خير من يتبع، وصَدق من أخبر أن أصحاب رسول الله ﷺ، كالنجوم نقتدى بها فى ظلمات الليل الحالك، فننعم بالأمان ونسير فى درب الناجين، وصدق من قال:

إن لله عــــــبــــــاداً فُـطَـنــا
طلقــوا الدنيــا وخــافــوا الفــتنا
نظروا فـــيـــهـــا فلمـــا علمـــوا
أنـهــــا ليــــست لِحَـىَّ وطنــا
جــــعلوها لُجَّـــــة واتخــــذوا
صــالح الأعــمــال فــيـهــا سـفنا

ومعنى الأبيات التى نقلت عن الإمام الشافعى: أن هناك أُناس «فطنا» أى: أذكياء رموا يمين الطلاق على الدنيا قولا وعملا لأنهم نظروا فيها فأدركوا أنها لا تدوم لأحد وإنما هى معبر فاتخذوها «لجة» أى: أمواج وركبوا فى سفينة من صالح الأعمال حتى يصلوا إلى الجنة بسلام.

وبالطبع إن هذه الأبيات لهى خير أبيات تعبر عن الصحابة وعلى الأخص قائدهم الصديق الذى صنع أول سفينة فى بحر تصارعت أمواجه

بالخبائث، فأتقن صناعتها، بأعظم الأعمال وأجلها، وأسسها بالتقى والهدى، والعفاف وغنى النفس، واتباع حبيبه ﷺ، وجعل شراعها يحمل راية أن «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فقاده الشراع إلى جنة عرضها كعرض السماوات والارض، ينعم بصحبة حبيبه المصطفى ﷺ. لذا فهيا بنا جميعا لننعم بكلام الصديق خطب ومواعظ، لنعلم ولنعمل بما يكتب فى هذا الكتاب المتواضع ولنسأل الرحمن القبول والهداية والصلاح والرشاد والعفو فى الدنيا والآخرة اللهم آمين

المؤلف

محمد عبده

المنصورة - عزبة عقل - شارع أبو القاسم

ت ٠١٠٥١٣٠٠٣٩

تمهيـــد

الحمد لله الواحد، الحمد لله القابض، الحمد لله الباسط، الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه، الحمد لله المنعم المتفضل بعطاياه، الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله صلوات ربى وسلامه عليه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلقد تعود منى قرائى الأعزاء أن أصنع تمهيداً لهم يعينهم على فهم الكتاب قبل الخوض فيه، وهذا ليحصل تمام الفهم بأمر المولى عزَّ وجلّ وحتى لا أطيل فهذا الكتاب المتواضع سيستعرض خطب الصديق أبى بكر رضي الله عنه وكتبه ورسائله ولقد قمت بتقسيم الكتاب إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: سنتحدث فيه بأمر المولى عزَّ وجلّ عن «خطب المحن» وأعنى بخطب المحن: الخطب التى قالها الصديق وهو فى ضيق شديد وكيف استطاع الصديق أن يتغلب على هذا بثباته وإيمانه ويقينه وعزمه

الفصل الثانى: سيعرض لنا بأمر المولى عزَّ وجلّ خطب المواعظ وهذه هى الخطب التى تظل إلى عصرنا هذا، وما زالت تُرْوى على منابرنا ولكن للصديق فيها ميزة وهذا ما سنعرفه فى هذا الفصل

الفصل الثالث: هو فصل قد خصص للكتب والرسائل

الفصل الرابع: به إفادة بسيطة عن فضل الصديق، وختمتها بزهرة جميلة وضعها لنا الصديق رضي الله عنه.

وحتى لا أطيل عليكم فهيا بنا لنسبح فى بحر من خطب الصديق ﷺ راجين من الله أن يرزقنا حُسن الفهم والعلم والعمل إنه قريب سميع مجيب الدعاء

المؤلف
محمد عبده

الفصل الأول
خطب المحن

- ثبات الداعية
- خطبته عند وفاة رسول الله ﷺ
- خطبة الصديق فى جيش أسامة
- الثبات وحسن الخطابة.
- خطبته فى المجاهدين وصية
- خطبته بعد السقيفة
- خطبته فى شأن الردِّة ومانعى الزكاة
- خطبة فى حرب الشام:
  1. الخطبة الأولى
  2. خطبة المشورة
  3. خطبة خوفه عليهم من فتن الدنيا
- خطبته لجمع الجند
- الإفادة

الفصل الأول

خطب المحن

ثبات الداعية

إن من أراد العمل فى ميدان الدعوة الإسلامية، عليه أن يتمسك ويثبت على إيمانه، فصدق الدعوة، من صدق الداعية، فكيف يستشعر الناس دعوة تخرج من اللسان ولا يصدقها القلب.

وينبغى أيضا على الداعية أن يؤمن بأن الله وحده لا شريك له، له الإسلام والانقياد والإذعان بعبوديته، الله وحده عليه نتوكل وإليه المصير، الله وحده من نراقبه فى أعمالنا ونخلص اليه فى سرائرنا وظواهرنا، الله وحده من له الأمر فى الأولى والآخرة.

والداعية لا يعرف النفاق فالله فى قلبه وفى عقله، وفى حسه، وفى فكره، وفى قوته، وفى كلامه، وفى أفعاله، وفى سكناته، فقلبه ذاكر وعقله شاكر وحسه بالإيمان عامر وفكره وذكره وقوته جهاد وكلامه حق وأفعاله صدق وسكناته تُقِرُ بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وحتى يكون لكلامنا دليل... فأنتم جميعاً تعلمون حب الصديق لرسول الله ﷺ، تعلمون أنه أحب رسول الله ﷺ أكثر من أهله وماله ونفسه، ولإن قال له رسول الله ﷺ افدنى، لفداه بروحه وما قصر، وبالرغم من ذلك سنقرأ سويا خطبته الشهيرة عند موت رسول الله ﷺ، والتى تجلت وأوضحت معنى الإيمان الحقيقى للواحد القهار، وتصدق على كل ما سبق من كلام. وحتى لا نطيل فإليكم خطبة الصديق عند وفاة الرسول الجليل.

خطبته عند وفاة رسول الله ﷺ

اسمحوا لى أن أعرض القصة بكاملها حتى يحصل تمام النفع بأمر المولى عزَّ وجلّ.

لما كان رسول الله ﷺ فى يوم وفاته بعث إلى نسائه قائلا: إنى قد اشتكيت وإنى لا أستطيع أن أدور بينكن فأذن لى فلأكن عند عائشة، فكانت تمرضه ولم تكن تمرض أحداً قبله فبينما رأسه ذات يوم على منكبها إذ مال رأسه نحو رأسها فظنت أنه يريد من رأسها حاجة فخرجت من فيه نقطة باردة فوقعت عليها نقرة نحرها فاقشعر لها جلدها، فظنت أنه غُشى عليه فسجيته ثوبا، فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا فأذنت لهما وجذبت اليها الحجاب فنظر عمر إليه وقال: واغشيا ما أشد غشى رسول الله ﷺ ثم قاما فلما اقتربوا من الباب قال المغيرة: يا عمر مات رسول الله ﷺ.

فقال عمر: كذبت بل أنت رجل تحوسك فتنة «أى: تشجع الفتنة» إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يُفْنِى اللهُ المنافقين.

ثم أقبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه من السنح «موضع بعوالى المدينة المنورة» على دابته حتى نزل بباب المسجد، وأقبل مكروباً حزينا فاستأذن فى بيت ابنته عائشة ـ رضى الله عنها ـ فأذنت له. فدخل على رسول الله ﷺ فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون مات رسول الله ﷺ.

ثم أتاه من قبل رأسه فحدر فاه فقبل جبهته ثم قال: وانبياه، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال: ـ واصفياه، ثم رفع رأسه وحدر فاه وقبل جبهته وقال: يا خليلاه، مات رسول الله ﷺ.

ثم خرج إلى المسجد، وعمر يخطب الناس ويتكلم ويقول: إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يُفْنِى الله المنافقين.

فتخطى أبو بكر رضي الله عنه رقاب الناس حتى أتى المنبر، وجلس عمر رضي الله عنه حين رأى أبا بكر رضي الله عنه مقبلا إليه، وقام أبو بكر إلى جانب المنبر ونادى الناس فجلسوا وانصتوا.

نص

تَشَهَّدَ أبو بكر بما عَلِمَهُ من التَّشَهّد وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عزَّ وجلّ نعى نبيه إلى نفسه وهو حَيٌّ بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم، وهو الموت حتى لا يبقى منكم أحد إلا الله عزَّ وجلّ. قال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (الزمر: ٣٠ - ٣١)

وقال الله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٤)

فقال عمر رضي الله عنه: هذه الآية فى القرآن والله ما علمت أن هذه الآية أنزلت قبل اليوم.

وعندما فرغ قال الصديق أبو بكر رضي الله عنه: إن الله عَمَّرَ محمداً ﷺ وأبقاه حتى أقام دين الله، وأظهر أمر الله، وبلَّغ رسالة الله، وجاهد فى سبيل الله ثم توفاه الله على ذلك وقد ترككم على الطريقة، فلن يهلَك هالكٌ إلا من بعد البينة والشفاء. فمن كان الله ربه فإن الله حَيٌّ لا يموت، ومن كان يعبد محمداً وينزله إلها فقد هلك إلهه.

فاتقوا الله أيها الناس؛ واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره ومعز دينه، وإن كتاب الله بين أظهُرِنا وهو النور والشفاء، وبه هَدَى الله محمداً ﷺ وفيه حلال

الله وحرامه. والله لا نبالى من أجلَبَ علينامن خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعدُ ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ فلا يبغينَّ أحدُ إلا على نفسه (٥) ثم انصرف معه المهاجرون إلى رسول الله ﷺ.

ثبات الداعية

ذكرتُ القصة بكاملها حتى يحصل تمام النفع فى أذهاننا وعقولنا، ونرى بعين فاحصة وماحصة مدى ثبات الداعية، فمحمد ﷺ، أحبُ حبيب إلى أبى بكر الصديق مات أمام عينه ولكنه تملك نفسه، وخشى الفتنة، فى صفوف المسلمين، فوعظ وأرشد، وأبان وأوضح أنّ الدين لله، فالله وحده هو المعبود، ومحمد ﷺ هو المبلغ للرسالة فموته لا يعنى التراجع فلسنا نعبده ولكنا نعبد ربه وربنا (الله).

وأى داعية وسط هذا الحزن والكرب والهم سينهار ولكن إذا وضع أمام عينيه خدمة هذا الدين والتقرب إلى المولى عزَّ وجلّ سيقوى ويناضل لأن الثبات من الإيمان والثبات من أصل الدعوة، عسى الله بثبات الداعية أن يجمعه مع الحبيب ﷺ فى الآخرة وإن كان التغلب على الحزن والهم والكرب من الثبات، فهناك أشياء أخرى هامة فى مسألة الثبات وهى التوكل على الله والاستعانة على العبادة بحسن الدعوة ونقاء الصدور والاستسلام والخضوع التام لرب العباد.

وإليكم خطبة من خطب الصديق فى مسألة الثبات أسوقها لكم فى قصة

---

(٥) الخطبة فى البداية والنهاية: ٥/ ٢٢٩ ـ ٢٣١، وتاريخ الأمم والملوك للطبرى ٤/ ١٨ ـ ٢٠.

خطبة الصديق فى جيش أسامة

جاء فى كتاب الأمم والملوك للطبرى: عن عاصم بن عدى، قال: نادى منادى أبى بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ: ليتم بعث أسامة، ألا لا يبقين أحد من جند أسامة إلا خرج عسكره بالجرف، وقام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال:

نص

«يا أيها الناس، إنما أنا مثلكم، وإنى لا أدرى لعلكم ستكلفوننى ما كان رسول الله ﷺ يطيق، إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعونى، وإن زغت فقومونى، وإن رسول الله ﷺ قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربه سوط فما دونها، ألا وإن لى شيطانا يعترينى، فإذا أتانى فاجتنبونى، لا أؤثر فى أشعاركم وأبشاركم، وأنتم تغدون وتروحون فى أَجَل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم ألا يمضى هذا الأجل إلا وأنتم فى عملٍ صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا فى مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قوما نسوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فإياكم أن تكونوا أمثالهم. الجد الجد؛ والوحا الوحا؛، والنجاء النجاء؛ فإن وراءكم طالبا حثيثاً، أجلاً مره سريع. احذروا الموت. واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات.

وقام أيضا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عزَّ وجلّ لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم، واعلموا أن ما أخلصتم لله فى أعمالكم فطاعة أتيتموها، وخطأ ظفرتم به، وضرائب أديتموها، وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية، لحين فقركم وحاجتكم، اعتبروا

عباد الله بمن مات منكم، وتفكروا فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس؟، وأين هم اليوم؟؛ أين الجبارون؟؛ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة فى مواطن الحروب؟؛ قد تضعضع بهم الدهر، وصاروا رميما، قد تركت عليهم القالات: الخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات.

وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها، قد بعدوا ونسى ذكرهم، وصاروا كلا شىء، ألا إن الله قد أبقى عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم، وبقينا خلفاً بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن اغتررنا كنا مثلهم؛

أين الوضَاءُ الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟؛ صار ترابا، وصاروا ما فرطوا فيهَ حسرة عليهم؛

أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط، وجعلوا فيها الأعاجيب؟؛ قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية، وهم فى ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد أو تسمع ركزاً؟؛

أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه، وأقاموا للشهوة والسعادة فيما بعد الموت، ألا إن الله لا شريك له، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه به سوءاً، إلا بطاعته واتباع أمره واعلموا أنكم عبيد مدينون، وإن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته، أما أنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة (٦)

(٦) تاريخ الأمم والملوك للطبرى: ٤/ ٤٣ ـ ٤٤.

الثبات وحسن الخطابة

لقد أعلمتكم قبل هذه الخطبة أن على الداعية أن يثبت ويستعين على هذا الثبات بحسن التوكل على الله، ثم سقت إليكم هذه الخطبة لأستشهد بها، وسيسأل الجميع الآن، أين الاستشهاد فى هذه الخطبة؟

فأقول وبالله التوفيق، إن أبا بكر رضي الله عنه كان حديثاً فى خلافته، وجيش أسامة، كان يضم أهل الفتوة والقوة من المسلمين، وعند موت رسول الله ﷺ ارتد عدد كبير ممن دخلوا الإسلام للتحرش والخوف، وعند موت رسول الله ﷺ يتربصون بالطبع للفتك بالمسلمين خصوصا بعد خروج جيش أسامة، السبب الثانى إنه كان هناك اعتراض على جيش أسامة من قبل الأنصار رغم هذا أراد أبو بكر إنفاذ أوامر النبى ﷺ، واسمحوا لى أن أعرض عليكم كيف كان الثبات فى هيئة نقاط مرتبة.

١ـ النقطه الأولى:

تمالك أبو بكر الصديق نفسه، رغم حزنه على رسول الله ﷺ، إلا أنه أراد إنفاذ أوامره، ففى ثانى يوم لوفاته أمر بتجهيز الجيش الذى أعده رسول الله ﷺ، بنفس القائد الذى عينه رسول الله ﷺ، دون تغيير أو تبديل.

٢ـ النقطة الثانية:

هذا الجيش إن خرج للقتال سيأخذ صفوة المحاربين، ويبقى أبوبكر رضي الله عنه ومعه بعض الشباب والصبية والعجائز والنساء، أى من لا حول لهم ولا قوة فى ملاقاة العدو، والعدو يتربص بأماكن حول المدينة وبالقرب منها، وهم من ارتدوا عن الديانة الإسلامية عندما علموا بموت رسول الله ﷺ.

٣ـ النقطة الثالثة:

حدث اعتراض شديد على إمارة أسامة بن زيد بالذات من قبل الأنصار وقد ورد فى تاريخ الأمم والملوك «ضرب رسول الله ﷺ قبل وفاته بعثا على أهل المدينة ومن حولهم، وفيهم عمر بن الخطّاب وأمَّر عليهم أسامة ابن زيد، فلم يجاوز آخرهم الخندق، حتى قبض رسول الله ﷺ، فوقف أسامة بالناس، ثم قال لعمر: ارجع إلى خليفة رسول الله ﷺ فاستأذنه يأذن لى أن أرجع بالناس فإن معى وجوه الناس وحدهم، ولا آمن على خليفة رسول الله وثقل رسول وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون.

وقالت الأنصار: ـ «فإن أبى إلا أنْ نمضى «أى: إن رفض الرجوع واصر على ذهابنا للجهاد» فأبلغه عنا، واطلب إليه أن يولى أمرنا رجلاً أقدم سنا من أسامة."

وخرج عمر بأمر أسامة، وأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: «لو تخطفتنى الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ؛»

فقال عمر بن الخطّاب: فإن الأنصار أمرونى أن أبلغك، وإنهم يطلبون إليك أن تولى أمرهم رجلاً أقدم سنا من أسامة.

فوثب أبو بكر. وكان جالسا ـ فأخذ بلحية عمر، وقال له: «ثكلتك أمك وعدمتك يا بن الخطّاب؛ استعمله رسول الله ﷺ وتأمرنى أن أنزعه» فخرج عمر إلى الناس فقالوا له: ما صنعت؟، فقال: امضوا، ثكلتكم أمهاتكم؛ ما لقيت فى سببكم من خليفة رسول الله»

٤ـ النقطة الرابعة والأخيرة:

اجتمع بأمير المؤمنين أبى بكر الصديق ثلاثة أمور:

أ ـ الحزن لوفاة رسول الله ﷺ

ب ـ الغضب لرؤيته بعض الصحابة يريدون مخالفة رسول الله ﷺ فى أوامره.

جـ ـ الخوف، لأن مَنْ معه يرهبون من ملاقاة العدو عند خروج جيش أسامة ورغم هذه الثلاثة أمور إلا أنه تحلى بالثبات فواجهها بثلاثة أمور وهى:ـ

١ـ الفرح بطاعة الله ورسوله، واجد الحزن لموت الحبيب

٢ـ عالج الغضب بلين الداعية، وصبره، وحكمته.

٣ـ عالج الخوف بـ «حسبنا الله ونعم الوكيل»

وبهذه الثلاثة أمور ثبت وبثباته وتمالكه نفسه أصبح نعم الداعية فخرجت منه الخطبة السابقة، وفى الخطبة ثلاثة أمور يجب على الداعية الممتاز أن يعلمها فى خطبته بالذات إذا كانت الخطبة فى أناس يترددون فى أمر تعبدى يراد به وجه الله هذه الثلاثة أمور لابد أن توجد فى خطبة الحث على العبادة وهى:

التصوير القبورى

إن كان فى هذه الكلمة غموض فاسمحوا لى بالتوضيح، إذا رأى الداعية من المستمع حب الدنيا، فعليه أن يذكره بالقرون السابقة، كيف كانت قوية ولكنها هلكت ثم ليقترب الداعية من المستمع فى حديثه بالقرون التى تليها حتى يصل إلى أقارب المستمع، وهذا عن قول أبى بكر رضي الله عنه: (أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم قد انتهيت بهم آجالهم) فإن هذا ذو وقع قوى على المستمع يجعله غاية فى التقبل ويرفع من درجاته الإيمانية، واستعداده التعبدى

الحال القبورى الحسابى

وهنا يأخذ الداعية الجزئية التى انتهى عندها فى التصوير القبورى وهى جزئية من مات من الأقارب والاهل ويبين حالهم فى القبر. إما من جهة السعادة أو من جهة الشقاء.

البيان الإلهى:

بعد عرض الحالة القبورية للأقارب على الداعية أن يُذكِّر المستمع بأنه لا قرابة ولا وساطه عند المولى عزَّ وجلَّ الا بطاعته واتباع أوامره وإنما نحن عبيد مدينون، وإن ما عنده لا يدرك الا بطاعته.

وهنا إن شاء الله يحدث تمام الاستفادة من الدعوة، هذا أبو بكر علمنا فليعمل من تعلم، ولنأخذ بأسلوب الصديق فى دعوته إلى الحق.

خطبته فى المجاهدين وصية

بعد الخطبة السابقة سيكون الداعية قد صنع الأساس، فعليه أن يبدأ بالإملاءات، فيطلب ويرسى القواعد، وهذا هو ما فعله الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه.

(خرج أبو بكر الصديق حتى أتى الجيش وشيعهم وهو ماش وأسامة بن زيد راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبى بكر، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن؛

فقال: والله لا تنزل ووالله لا أركب؛ وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة، فإن للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترفع له، وترفع عنه سبعمائة خطيئة؛ حتى إذا انتهى قال: إن رأيت أن تعيذنى بعمر فافعل

فأذن أسامة بن زيد بعمر رضي الله عنه لخليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه.

ثم قال أبو بكر: يا أيها الناس، قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عنى.

نص

«لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئا بعد شىء فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقا، اندفعوا باسم الله، أفناهم الله بالطعن والطاعون»

هذا نص الخطبة التى أخذت شكل الوصية أو العكس اقرءوها يا من اشتغلتم بالدعوة فهى لأمير الدعاة خليفة المصطفى ﷺ رُبِّىَ فى المدرسة المحمدية، اقرءوها ثم اعلنوها على المنابر والمؤتمرات حتى يعلم أدعياء السلام أن السلام والأمن والحضارة والتقدم أصل فى الإسلام فحبيبنا أبو بكر أوصى بعدم الخراب حتى فى الحروب. أوصى بعدم قطع شجرة أو إفناء ارض أو قتل بهائم إلا لضرورة الأكل هذه هى الحضارة فى التعليم الحربى يا أدعياء الحضارة هذا هو السلام يا أدعياء السلام يا من تقتلون الطفل والشيخ وأظن أن الكل يعلم مغزى كلامى.

خطبته بعد السقيفة

رأيت أن أذكر أولا خطبته فى شأن جيش أسامة لأبين مدى صدق عقيدة الصديق أبى بكر رضي الله عنه، ثم أعود بكم إلى خطبته عند توليه الخلافة، لأريكم كيف ينبغى على الداعية أن يلتزم بما يخبر به، فالأمر ليس كلام وفقط بل هو كلام ينبع من حسن الاعتقاد ونية التطبيق الصادقة.

فخطبته عند توليه الخلافة جاء فيها ما سنذكره من أنه سيلتزم بأوامر المصطفى ﷺ ولقد ذكرنا لكم فى خطبته فى شأن جيش أسامة ماكان أكبر مثال للتطبيق وإليكم الآن الأحداث والخطبة.

قال العلامة ابن كثير: «لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر فقام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فتكلم قبل أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس إنى قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت وما وجدتها فى كتاب الله ولا كانت عهدا عهده إلى رسول الله ﷺ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله سيد برنا أمرنا، يقول: يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم الذى به هدى رسول الله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ وثانى اثنين إذ هما فى الغار فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بعد بيعة السقيفة، ثم تكلم أبو بكر:

نص الخطبة

(حمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى. الصدق أمانة والكذب خيانة.

والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله.

لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم

«قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله») (٧)

نص آخر

«حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإنى وليت أمركم ولست بخيركم ولكنه نَزَل القرآن، وسَنَّ النبى ﷺ، وعُلِّمْنا فَعَلِمْنَا، واعلموا أيها الناس أن أكيس الكيس التُّقى، أو قال: الهدى وأعجزَ العجز الفجور، وأن أقواكم عندى الضعيف، حتى آخذ له بحقه وأن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق.

أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمُبتدع، فإن أنا أحسنتُ فأعينونى، وإن أنا زغت فقومونى، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم) (٨)

رحم الله أبا بكر رضي الله عنه خطب فأوعظ فرقق القلوب، ثم عَمِلَ بما قال فأصغت له الآذان ورقت له القلوب وقاد أمة إلى طريق النور

(٧) البداية والنهاية لابن كثير: ٦/ ٢٩٤.

(٨) الخطب والمواعظ لأبى عبيد القاسم بن سلام (١٨٦ ـ ١٨٧).

خطبته في شأن الردة ومانعي الزكاة

قبل نص الخطبة اسمحوا لى أن أعرض عليكم جزءًا مما دار بين الصديق والصحابة فى شأن حروب الردة ومانعى الزكاة، ثم أسوق إليكم نص خطبته.

تكلم الصحابة مع الصديق فى أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان فى قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصديق من ذلك وأباه؛ وقد روى الجماعة فى كتبهم سوى ابن ماجة عن أبى هريرة أن عمر بن الخطّاب قال لأبى بكر: علام تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا قالوها عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها»

فقال أبو بكر: والله لو منعونى عناقا، وفى رواية: عقالا كان يؤدونه إلى رسول الله لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة.

قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال، فعرفت أنه الحق: قلت: وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ (٩)

وثبت فى الصحيحين: «بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان».

هذا ما دار بين الصحابة والصديق فى شأن حرب أهل الردة ومانعى الزكاة.

(٩) التوبة آية: ٥.

وإليكم الآن نص خطبة الصديق فى هذا الشأن.

نص

قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ﴿الحمد لله الذى هدى فكفى، وأعطى فأغنى، إن الله بعث محمداً ﷺ، والعلم شريد والإسلام غريب طريد، قد رث حبله، وخلق عهده، وضلّ أهله منه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم، قد غيروا كتابهم وألحقوا فيه ما ليس منه، والعرب الآمنون يحسون أنهم فى منعة من الله لا يعبدونه ولا يدعونه، فأجهدهم عيشا، وأضلهم دينا، فى ظلف [10] من الأرض مع ما فيه من السحاب فختمهم الله بمحمد، وجعلهم الأمة الوسطى، نصرهم بمن اتبعهم، ونصرهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيه ﷺ فركب منهم الشيطان مركبه الذى أنزله عليه، وأخذ بأيديهم وبغى هلكتهم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [11]

إن من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم، ولم يكونوا فى دينهم - وإن رجعوا إليه - أزهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا فى دينكم أقوى منكم يومكم هذا، على ما قد تقدم من بركة نبيكم ﷺ، وقد وكلكم إلى المولى الكافى، الذى وجده ضالا فهداه وعائلا فأغناه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ

---

(١٠) الظلف: ما غلظ من الأرض واشتد، أو هو الشدة فى المعيشة.

(١١) آل عمران الآية: ١٤٤.

إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٢)

والله لا أُدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده، ويوفى لنا عهده ويقتل من قتل منا شهيدا من أهل الجنة، ويبقى من بقى منها خليفته وذريته فى أرضه قضاء الله الحق، وقوله الذى لا خلف له ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١٣) (١٤)

فى نهاية هذه الخطبة بودى أن أعرض عليكم قولا ذكره العلامة ابن كثير وهو: قال الحسن، وقتادة ،وغيرهما فى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٥) قالوا: المراد بذلك أبو بكر الصديق وأصحابه، فى قتالهم المرتدين ومانعى الزكاة)

(١٢) آل عمران الآية: ١٠٣. (١٣) النور الآية: ٥٥.

(١٤) البداية والنهاية للعلامة ابن كثير: ٦/ ٣٠٤ - ٣٠٥.

(١٥) المائدة الآية: ٥٤.

خُطْبَةٌ فى حرب الشام

سبق وأن ذكرنا خطبة الصديق فى المجاهدين، الخارجين لحروب الردة، وخطبته فى جيش أسامة، والآن سنذكر إن شاء الله خُطْبَةُ فى الجيوش الخارجة لحروب الشام، ولكن اسمحوا لى أن أقول لكم.

١. اقرءوا قبل قراءة هذه الخطب، خطبته فى جيش أسامة أولا واحفظوها ثم اقرءوا هذه الخطبة.

٢ . لاحظوا الفرق فى الكلمات والأسلوب ونظام الخطبة.

٣ . سأعلق بأمر المولى عزَّ وجلَّ على الفرق بعد أن أذكر لكم الخطب فى شأن حروب الردة

والآن إليكم النصوص الواردة فى شأن خطب الصديق فى حروب الردة

الخطبه الأولى:

عن سعيد بن المسيب أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما بعث الجنود نحو الشام أمر يزيد بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة لما ركبوا مشى أبو بكر مع أفراد جنوده يودعهم حتى بلغ ثنية الوداع.

فقالوا: يا خليفة رسول الله؛ تمشى ونحن ركبان.

فقال: إنى احتسب خُطاى هذه فى سبيل الله ثم جعل يوصيهم فقال:

نص

(أوصيكم بتقوى الله، اغزوا فى سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله فإن الله ناصر دينه، ولا تَغُلُّوا، ولا تغدروا، ولا تجبُنُوا، ولا تُفْسِدُوا فى الأرض، ولا تعصوا ما تُؤمَرُون، فإذا لقيتم العدو من المشركين إن شاء الله فادوهم إلى

ثلاث فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكُفُّوا عنهم وادعوهم إلى الإسلام فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكُفُّوا عنهم، ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين فإن هم فعلوا فأخبروهم أن لهم مثل ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، وإن هم دخلوا فى الإسلام واختاروا دارهم على دار المهاجرين، فأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى فرض على المؤمنين وليس لهم فى الفىء والغنائم شىء حتى يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا أن يدخلوا فى الإسلام فادعوهم إلى الجزية، فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، وإن هم أبوا «رفضوا» فاستعينوا بالله عليهم فقاتلوهم إن شاء الله ولا تُعرقُنَّ نخلا ولا تُحرقُنَّها ولا تعقروا البهيمة ولا شجرة ولا تهدموا بيعة (١٦) ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء.

وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له.

وستجدون آخرين اتخذوا للشيطان فى أوساط رؤوسهم أفحاصاً، فإذا وجدتم أولئك فاضربوا أعناقهم إن شاء الله﴾ (١٧)

الخطبة الثانية

خطبة المشورة

هذه الخطبة تناولها أكثر من صحابى، وقد رأيت أن لا أكتفى بنص خطبة الصديق، لأن الاكتفاء بنص الخطبة، لن يعطى محصول النفع والإفادة، فالإفادة فى ذكر الحدث مع الخطبة إن شاء الله.

(١٦) بيعة مكان للنصارى، واليهود.

(١٧) كنز العمال ٢/ ٢٩٥، والبيهقى.

(عن الزهرى عن عبد الله بن أبى أوفى الخزاعى رضي الله عنه أنه قال: لما أراد أبو بكر رضي الله عنه، غزو الروم دعا علياً، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد، وأبا عبيدة بن الجراح، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم رضي الله عنهم ـ فدخلوا عليه، فقال عبد الله ابن أبى أوفى، وأنا فيهم: فقال أبو بكر رضي الله عنه:

نص

(إن الله عزَّ وجلَّ لا تحصى نعماؤه، ولا تبلغ جزاءها الأعمال، فله الحمد، قد جمع الله كلمتكم، وأصلح ذات بينكم، وهداكم إلى الإسلام، ونفى عنكم الشيطان، فليس يطمع أن تشركوا به، ولا تتخذوا إلها غيره، فالعرب اليوم بنو أم وأب، وقد رأيت أن استنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين، ويجعل الله كلمته العليا، مع أن للمسلمين فى ذلك الحظ الأوفر، لأنه من هَلَكَ منهم هَلَكَ شهيداً، وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين مستوجبا على الله ثواب المجاهدين، وهذا رأيى الذى رأيته، فليشر امرؤ على برأيه.)

فقام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقال: ﴿الحمد لله الذى يخص بالخير من شاء من خلقه، والله ما استبقنا إلى شىء من الخير قط إلا سبقتنا إليه، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، قد ـ والله ـ أردت لقاءك بهذا الرأى الذى رأيت فما قضى أن يكون حتى ذكرته، فقد أصبت، أصاب الله بك سبيل الرشاد، سَرِّبْ (١٨) إليهم الخيل فى إثر الخيل، وابعث الرجال بعد الرجال، والجنود تتبعها الجنود، فإن الله ناصر دينه ومعز الإسلام وأهله.

(١٨) سَرِّبْ: أى: أرسل قطعة قطعة.

ثم إن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قام فقال: (يا خليفة رسول الله، إنها الروم وبنو الأصفر حدٌّ حديدٌ وركن شديد، ما أرى أن نقتحم عليهم اقتحاماً ولكن ابعث الخيل فتغير فى قواصى أرضهم ثم ترجع إليك، وإذا فعلوا ذلك مراراً أضرُّوا بهم، وغنموا من أدانى أراضيهم فقعدوا بذلك عن عدوهم، ثم تبعث إلى أراضى اليمن وأقاصى ربيعة ومصر، ثم تجمعهم جميعاً إليك، ثم إن شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وإن شئت أغزيتهم، ثم سكت وسكت الناس....

ثم قال لهم أبو بكر: ما ترون؟

فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: إنى أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين، شفيق عليهم فإذا رأيت رأيا تراه لعامتهم صلاحاً، فاعزم على إمضائه فإنك غير ظنين «متهم».

فقال طلحة، والزبير، وسعد، وأبو عبيدة، وسعيد بن زيد، ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم: صدق عثمان، ما رأيت من رأى فامْضِهِ، فإنا لا نخالفك ولا نتهمك، وذكروا هذا وأشباهه.

وكان على بن أبى طالب رضي الله عنه حاضرًا فى القوم ولم يتكلم.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: ماذا ترى يا أبا الحسن؟

فقال: أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت عليهم إن شاء الله.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: بشرك الله بخير، ومن أين علمت ذلك؟

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه (١٩) حتى يقوم الدين وأهلُهُ ظاهرُِن».

(١٩) ناوأه: أى خالفه وعانده.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: سبحان الله، ما أحسن هذا الحديث، لقد سررتنى به سَرَّكَ الله. ثم قام أبو بكر فقال فى الناس: .

نص

بعد أن ذكر الله بما هو أهله، وصلى على نبيه ﷺ. قال: (أيها الناس، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام، وأكرمكم بالجهاد، وفضلكم بهذا الدين على كل دين، فتجهزوا عباد الله، إلى غزو الروم بالشام، فإنى مُؤَمِّرٌ عليكم أمراء، وعاقد لهم ألوية، فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكم لتحسن نيتكم وأشربتكم وأطعمتكم فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون). فسكت القوم، فو الله ما أجابوا، فقال عمر ﷺ: (يا معشر المسلمين ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله، وقد دعاكم لما يحييكم؟ أما إنه لو كان عرضا قريبا أو سفرا قاصداً لابتدرتموه).

فقام عمرو بن سعد رضي الله عنه فقال: يا ابن الخطَّاب، ألنا تضرب الأمثال أمثال المنافقين، فما منعك مما عبت علينا فيه أن تبدأ به؟

فقال عمر رضي الله عنه: إنه يعلم أنى أجيبه لو يدعونى، وأغزو لو يُغْزِينى فقال عمرو بن سعيد رضي الله عنه: ولكن نحن لا نغزو لكم إن غزونا، إنما نغزو لله. فقال عمر: وفقك الله، قد أحسنت.

فقال أبو بكر لعمرو رضي الله عنه: اجلس رحمك الله، فإن عمر لم يرد مما سمعت أذى مسلم ولا تأنيبه إنما أراد بما سمعت أن ينبعث المتثاقلون إلى الأرض إلى الجهاد. فقام خالد بن سعيد رضي الله عنه فقال: صدق خليفة رسول الله، اجلس أى أخى، فجلس، وقال خالد: الحمد لله الذى لا إله إلا هو الذى بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فالحمد لله، منجز وعده، ومظهر دينه، ومهلك عدوه، ونحن غير مخالفين ولا

مختلفين وأنت الوالى الناصح الشفيق، ننفر إذا استنفرتنا، ونطيعك إذا أمرتنا.

ففرح بمقالته أبو بكر ﵁ وقال له: جزاك الله خيراً من أخ وخليل، فقد كنت أسلمت مُرْتَغِباً وهاجرت مُحْتَسِباً، قد كنت هربت بدينك من الكفار لكى ترضى الله ورسوله وتعلو كلمته، وأنت أمير الناس، فسر يرحمك الله، ثم إنه نزل

ورجع خالد بن سعيد ﵁ وتجهز، وأمر أبو بكر بلالاً ـ ﵁ ـ فأذن فى الناس أن انفروا أيها الناس إلى جهاد الروم بالشام، والناس يرون أن أميرهم خالد بن سعيد، وكان الناس لا يشكون أن خالد بن سعيد أميرهم، وكان قد عسكر قبل واحد، ثم إن الناس خرجوا إلى معسكرهم من عشرة، وعشرين، وثلاثين، وأربعين، وخمسين، ومائة كل يوم حتى اجتمع أناس كثيرون.

فخرج أبو بكر ﵁ ذات يوم ومعه رجال من الصحابة حتى انتهى إلى عسكرهم، فرأى عدة حسنة لم يرض عدتها للروم، فقال لأصحابه: ما ترون فى هؤلاء إن أرسلتهم إلى الشام فى هذه العدة؟

فقال عمر ﵁: ما أرضى هذه العدة بجموع بنى الأصفر .

فقال لأصحابه: ماذا ترون أنتم؟.

فقالوا: نحن نرى ما رأى عمر.

فقال: ألا أكتب كتابا إلى أهل اليمن ندعوهم به إلى الجهاد ونرغبهم فى ثوابه؟ فرأى ذلك جميع أصحابه، فقالوا: نعم ما رأيت. أفعل) (٢٠)

---

(٢٠) كنز العمال: ٣/ ١٤٠ ـ ١٤٣، تهذيب تاريخ ابن عساكر: ١/ ١٢٧ ـ ١٢٩.

الخطبه الثالثة:

خوفه عليهم من فتنة الدنيا

خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه فى الناس وقال:

نص

بعد أن حمد الله بما هو أهله وأثنى عليه «إنها ستفتح لكم الشام فتأتون أرضا رفيعة» حيث تُمَتَّعونَ فيها من الخبز والزيت، وستبنى لكم بها مساجد، فإياكم أن يعلم الله عزَّ وجلَّ أنكم إنما تأتونها تلهيًا، إنما بنيت للذكر [(٢١)]

بعد أن قرأنا سويا هذه النصوص فى شأن حروب الشام، أظن أننا توصلنا إلى وجه الخلاف بين خطبه فى جيش أسامة وخطبه فى حروب الشام، وأوجه الخلاف هى:

١. خطبته فى جيش أسامة كانت وصية أما هنا فخطبه كانت تذكرة، ثم تلى التذكرة وصية.

٢ - خطبته فى جيش أسامة لم يذكر فيها خوفه عليهم من فتنة الدنيا ولكن هنا خاف عليهم من فتنة الدنيا.

٣ - لم يعمل بالمشورة فى شأن جيش أسامة وعمل بها هنا.

ولتوضيح ما أقصده بنقط الخلاف سأذكره تحت عنوان ﴿الإفادة﴾ إن شاء الله بعد الخطبه الأخيرة فى هذا الفصل وهى:

---

(٢١) الزهد لأحمد بن حنبل: ١٦٨.

خطبته لجمع الجند

سار أبو عبيدة بن الجراح حتى اقترب من الجابية «وهى قرية من أعمال دمشق»، وهناك بلغه أن هرقل ملك الروم بأنطاكية، قد جمع له جموعاً كثيرة، فكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى أبى بكر الصديق رضي الله عنه يخبره بذلك، فقام الصديق أبو بكر رضي الله عنه فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(أما بعد... فإن إخوانكم المسلمين معافون مُكَلَّئُون (٢٢)، مدفوع عنهم، مصنوع لهم، وقد ألقى الله الرعب فى قلوب عدوهم منهم، وقد اعتصموا بحصونهم، وأغلقوا أبوابها دونهم عليهم.

وقد جاءتنى رُسُلُهم يخبروننى بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم حتى نزل قرية من قرى الشام فى أقصى الشام، وقد بعثوا إلى يخبروننى أنه قد وجه إليهم هرقل جُندًا من مكانه ذلك، فرأيت أن أمد إخوانكم المسلمين بجند منكم يشدُدُ الله بكم ظهورهم، ويُكبَتُ بهم عدوهم، ويلقى الرعب فى قلوبهم، فانتدبوا رحمكم الله مع هشام بن عتبه بن أبى وقاص، واحتسبوا فى ذلك الأجر والخير، فإنكم إن نُصِرتُم فهو الفتح والغنيمة، وإن تهلكوا فهى الشهادة والكرامة) (٢٣)

---

(٢٢) مكلئون: محفوظون.

(٢٣) جمهرة خطب العرب: ١/ ٢٠٣.

الإفـــادة

إن هذه السلسلة المتواضعة «سلسلة الدعوة والدعاة» لابد وأن تحقق غرضها بأمر المولى عزَّ وجلَّ، والغرض منها إخراج جيل من الدعاة، على علم طيب، يستطيع أن ينشر الحق، وهو على أرض صلبة، وأساس قويم، لذا فلابد أن نبين بأمر المولى عزَّ وجلَّ المستفاد من «خطب المحن» والذى ألخصه فى عدة نقاط وهى:

١ـ الداعى إلى الله يدع أحزانه وآلامه ومشاعره جانبا، ولا يشغله شىء عن الدعوه، حتى وإن كان هذا الشىء، هو جرح القلب، فقلب الصديق أبو بكر رضي الله عنه جُرح، عند موت حبيبه، وحبيبنا، محمد ﷺ، ولكنه تجاهل مشاعره، وخطب فى الناس ليقومهم ويرشدهم إلى الحق، هذا الحق الذى لخصه الشاعر فى أبياته.

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر ... وبينى وبين العالمين غراب

نعم لقد عمل أبو بكر بهذا البيت فهو يعلم تمام العلم أننا أموات أبناء أموات لن يبقى منا أحد لذا، فمن يرجو فليرجو الله، وحده، وليضع الله، وحده أمامه فى حركاته وسكناته، هذا ما ينبغى أن يكون عليه الداعية الحق، ولكن إذا كان الأمر جسيما، فليستعن بالله عسى أن يخفف عنه كما استعان الصديق أيضا وصدق الشاعر حين قال:

يا من إليه جميع الخلق يبتهل ... وكل حَىٍّ على رحماه يتكل
يا من نادى فرأى ما فى الغيوب وما ... تحت الثرى وحجاب الليل منسدل
يا من دنا فنأى على أن تحيط به ... الأفكار طرًا والأوهام والعلل
أنت الملاذ إذا ما أزمة شملت ... وأنت ملجأ من ضاقت به الحيل

أنت المنادى به فى كل حـــادثة | أنت الإله وأنت الذخـــر والأمل
أنت الغيـاث لمن سُدَّت مذاهبه | أنت الدليل لمن ضلَّت به السبل
إن قصدناك والآمـال واقعـة | وإن سطوت وأنت الحاكم العدل

٢ـ الداعى إلى الله ينبغى أن يكون فطنًا ذا كياسة يعلم أحوال من أمامه فيُرشِد ويقوم على حسب الحالة التى أمامه ولنا فى ذلك ثلاثة أمثلة.

أ ـ خطبته فى الناس فى شأن جيش أسامة كانت تذكرة وموعظة.

ب ـ خطبته فيمن خرج للجهاد تحت لواء أسامة بن زيد رضي الله عنه اقتصرت على أن تكون وصية.

جـ ـ خطبته فى الجيش الخارج لقتال الروم كانت موعظة وتذكرة ووصية.

هذه الخطب أكبر دلالة على أنه ينبغى أن يراعى الداعى حال من يدعوه، فكانت التذكرة، والموعظة، فى الناس، عند جيش أسامة، لأن أبا بكر رضي الله عنه وجد اعتراضًا على خروج الجيش، وبالذات حينما يكون أسامة بن زيد هو القائد، فهنا علم أبو بكر بكياسته وحكمته أن القول الأمثل لمثل هذه الحالة التذكرة حتى تلين القلوب وتخضع الرقاب لعظمة علام الغيوب.

وعندما تجهز الجيش، رأى أن أغلب من فى الجيش بحالة إيمانية جيدة فرأى أن يكتفى بالوصية، هذه الوصية شملت، كيف أن الإسلام دين تحضر ورقى حتى فى الحرب، وهذا ما شرحناه تحت هذه الوصية.

أما بالنسبة للجيش الخارج لحرب الروم، أدرك أبو بكر، أن الروم كثير، فيلزم الدعوة بالثبات، حتى وإن أنعم الله عليهم بالنصر، فهناك فتن الغنيمة، والدنيا التى ستفتح لهم، فأدرك أن الموعظة هى خير قول، وبعد الكلام بالموعظة والثبات لا ينسى أن يخبرهم بوصيته فى شأن الحرب.

٣ـ الداعى إلى الله ينبغى أن يوافق قوله عمله، ولقد استشعرنا هذا فى خطبة المشورة، التى وردت فى خطب حرب الروم، حينما أثنوا على الصديق رضي الله عنه، وكان من أهم أسباب اقتناعهم، أن الداعى لا يقول قولا إلا وهو فيه صدق، وبالطبع هذا ما نفتقده فى كثير من الدعاة فى عصرنا الحالى.

لذا أسأل الله أن يكون الدعاة فى عصرنا على درجة عالية من الصدق والتطبيق وتنفيذ أوامر الله، ولا ينطبق عليهم ما قاله الإمام الشافعى رحمه الله.

يا واعظ الناس عَمَّا أنت فاعلُه	يا من يُعَدُّ عَلَيْه العُمرُ بالنَّفَس
احفظ لشَيبك من عيب يُدَنِّسُهُ	إن البياض قليل الحمل للدَنَسَ
كَحَامل لثياب الناس يَغسلُهَا	وثوبه غارقٌ فى الرجس والنجس
تبغى النجاة ولم تسلُك طريقتها	إن السفينة لا تجرى على اليبس
ركُوبُك النَّعش يُنسيكَ الركوب على	ماكنت تركب من بغل ومن فَرَسِ
يومُ القيامةِ لا مالٌ ولا ولدٌ	وضمَّةُ القبر تُنسى ليلةَ العرسَ

وأخيرا أرجو من الله أن نكون قد استفدنا من هذه الإفادة فنعمل بكل ما جاء بها، فرب سامع أوعى من مبلغ، ورب قارئ أوعى من كاتب، لذا أرجو من الله لى ولكم العلم والوعى والفهم والعمل، ولننتقل سويا إلى الفصل الثانى، من هذا الكتاب المتواضع، الذى أرجو به من المولى الحنان الكسب والرجحان فى الدنيا والآخرة إنه سميع قريب الدعاء.

الفصل الثانى

خطب المواعظ



الفصل الثانى

خطب المواعظ

بعد أن أنهينا بعون الله، خطب المحن، اسمحوا لى أحباب المصطفى ﷺ ان نستعرض سويا، خطاب المواعظ للصديق أبو بكر رضي الله عنه، حتى ننعم بحسن الكلام، وتمتلىء أعيننا، فى الخطب الحق، الصادرة من قلب يعمر بالإيمان، الواقعة على مسامع أُناس يخشون الرحمن، فما منهم من أحد إلا سمع وعمل، فيا ترى هل من يقرأ سيعمل ؟ أم!؟

وحتى لا أطيل عليكم فلنبدأ سويا بعرض خطب المواعظ ولنرجو جميعاً قبل البدء أن نكون من الذين يقرأون القول فيتبعون أحسنه اللهم آمين.

خطبة الولاية

عن الحسن أن أبا بكر الصديق خطب فقال:

أما والله؛ ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامى هذا كارهاً ولوددت أن فيكم من يكفينىّ.

أفتظنون أنى أعمل فيكم بسنة رسول الله ﷺ؟

إذن لا أقوم بها. إن رسول الله ﷺ كان يُعْصَمُ بالوحى وكان مَعَهُ مَلَكُ وإن لى شيطاناً يعترينى، فإذا غضبتُ فاجتنبونى أن لا أؤثر فى أشعاركم وأبشاركم، ألا فراعونى فإن استقمت فأعينونى وإن زغْتُ فقومونى﴾ (٢٤)

هذه هى الخطبة التى ألقاها الصديق عند توليته، وهى أعظم ما كُتِب فى شأن الولاية والإمارة، فو الله لقد قال فيها الحسن: خطبة والله ما خَطَبَ بها بعده.

(٢٤) كنز العمال: ٣/ ١٢٦.

نعم هذه هى الحقيقة لقد لخص الولاية وأمرها وما ينبغى أن يكون عليه صاحب الولاية فى كلمات وجيزة، ولكنها عظيمة فى معانيها.

وهناك أيضا نص آخر، نذكره لكم بأمر المولى عزَّ وجلَّ.

نص

عن سعيد بن أبى مريم قال: بلغنى أنه لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إنه والله لولا أن تضيع أموركم ونحن بحضرتها لأحببت أن يكون هذا الأمرُ فى عُنُق أبغضكم إلىَّ ثم لا يكون خيراً له.

ألا إن أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك، فاشرأبَّ (٢٥) الناس ورفعوا إليه رؤوسهم

فقال: على رِسْلِكُمْ، إنكم عَجِلُونَ، إنه لن يملكَ ملكُ قطُّ إلا علم الله ملكه قبل أن يملكه فينقص نصفَ عمره وتوكل به الروع والحزن ويزهده فيما بيده ويرغبه فيما بأيدى الناس فتضنك (٢٦) معيشته وإن أكل طعاماً طيباً ولبسَ جيداً حتى إذا أضحى ظله وذهبت نفسه وورد إلى ربه فحاسبه فشد حسابه وقل غفرانه له،

ألا؛ إن المساكين هم المغفورون، ألا؛ إن المساكين هم المغفورون ألا؛ إن المساكين هم المغفورون﴾ (٢٧)

---

(٢٥) اشرأب: أى: رفع رأسه لينظر.

(٢٦) الضنك: هو الضيق والكرب، فتضنك: أى: فتضيق.

(٢٧) الكنز: ٣٠/ ١٦٢.

خطبة التقوى

عن عبد الله بن حكيم: قال: خطبنا أبو بكر ﷺ فقال: (أما بعد؛ فإنى أوصيكم بتقوى الله وأن تُثْنُوا عليه بما هو له أهل وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله تعالى أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (٢٨)

ثم اعلموا عباد الله؛ أن الله تعالى قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشترى منكم القليل الفانى بالكثير الباقى، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبهُ ولا يطفأ نُورُهُ، فصدقوا قوله وانتصحوا كتابه واستبصروا فيه ليوم الظلمة، فإنما خلقكم للعبادة ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون ثم اعلموا عباد الله؛

أنكم تغدون وتروحون فى أجل قد غُيِّب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضى الآجال وأنتم فى عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا فى مهل آجالكم قبل أن تنقضى آجالكم فيردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم ونَسُوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، الوحا الوحا النجاء النجاء؛

إن وراءكم طالباً حثيثا أمرُهُ سريع) (٢٩)

(٢٨) الأنبياء الآية: ٩٠.

(٢٩) كنز العمال: ٨/ ٢٠٦.

خطبة «اطلبو بأعمالكم وجه الله»

عن عاصم بن عدى قال: قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إن الله عزَّ وجلَّ لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها وخطأ ظفرتم به وضرائب أديتموها وسلفٌ قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية لحين فقركُم حاجتكم.

اعتبروا عباد الله بمن مات منكم وتفكروا فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس؟. وأين هم اليوم؟، أين الجبارون؟

وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة فى موطن الحروب؟

قد تضعضع (٣٠) بهم الدهر وصاروا رميماً قد تركت عليهم القالات: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعَمَرُوها؟ قد بعدوا ونُسِىَ ذكرُهُم وصاروا كلا شىء.

ألا؛ إن الله قد أبقى عليهم التبعات وقطع عنهم الشهوات ومضوا والأعمال أعمالهم والدنيا دنيا غيرهم وبقينا خلفاً بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا وإن اغتررنا كنا مثلهم.

أين الوضَاءُ الحسنةُ وجوههم المعجبون بشبابهم؟

صاروا ترابا وصاروا ما فرطوا فيه حسرة عليهم، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط وجعلوا فيها الأعاجيب؟

قد تركوها لمن خلفهم فتلك مساكنهم خاويةُ وهم فى ظلمات القبور،

(٣٠) تضعضع: أى: أذلهم وقهرهم.

هل تحسُّ منهم من أحد أو تسمع لهم زكراً؟ أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت.

ألا إن الله لا شريك له ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه به سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره، واعلموا أنكم عبيد مدينون وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته، أما إنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة﴾ (٣١)

(٣١) سبق تخريجه ص ١٦.

خطبة أولى الأمر

عن موسى بن عقبة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يخطب فيقول: (الحمد لله رب العالمين، أحمدُهُ ونستعينه ونسأله الكرامة فيما بعد الموت، فإنه قد دنا أجلى وأجَلُكم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله بالحق بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد ضلَّ ضلالا مبيناً.

أوصيكم بتقوى الله والاعتصام بأمر الله الذى شَرَعَ لكم وهداكم به، فإن جوامع هُدَى الإسلام بعد كلمة الإخلاص السَّمعُ والطاعةُ لمن ولاه الله أمركم، فإنه من يطع أولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد أفلح وأدى الذى عليه من الحق، وإياكم واتباع الهوى قد أفلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب وإياكم والفَخْرُ؛ وما فَخْرُ من خُلِقَ من تُراب ثم إلى تراب يَعُودُ ثم يأكُلُهُ الدُّودُ ثم هو اليوم حيٌّ وغداً مَيِّتُ فاعملوا يوماً بيوم وساعةً بساعة، وقوا دعاء المظلوم، وعُدُّوا أنفسكم فى الموتى.

واصبروا فإن العمل كُلَّه صبر، واحذروا فإن الحذر يَنْفَعُ، واعملوا فإن العمل يقبل، واحذروا ما حَذَّرَكُمُ اللهُ من عذابه، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته، وافهموا تَفَهَمُوا، واتَّقُوا توقوا، فإن الله تعالى قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم وما نجا به من نجا قبلكم فى كتابه حلاله وحرامه وما يجب من الأعمال وما يكره، فإنى لا آلومكم ونفسى واللَّهُ المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

واعلموا أنكم ما أخلصتم لله من أعمالكم فربَّكُمْ أطَعتُم حَفِظتُمْ واغتبطتم، وما تطوعتم به فاجعلوه نوافِلَ بين أيديكم تستوفوا بسلفكم وتعطوا جزاءكم حين فقركم وحاجتكم إليها.

ثم تفكروا عباد الله فى إخوانكم وصحابتكم الذين مَضَوا، قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه، وحلوا فى الشقاء والسعادة فيما بعد الموت، إن الله ليس له شريك وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره.

فإنه لا خير فى خير بعده النار، ولا شر فى شر بعده الجنة، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم وَصَلُّوا على نبيكم ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته﴾ (٣٢)

خطبة جزاء كفر النعمة

عن يزيد بن هارون قال: خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه فقال فى خطبته:

﴿يؤتى بعبدٍ قد أنعم الله عليه وبسط له فى الرزق وأصَحَّ بدنه وقد كفر نعمة ربه، فيوقف بين يدى الله تعالى فيقال له: ماذا عملت ليومك هذا وما قدمت لنفسك؟

فلا يجده قدم خيراً فيبكى حتى تنفد الدموع، ثم يُعَيَّر فيخزى بما ضيع من طاعة الله فينتحب (٣٣) حتى تسقط حدقتاه على وجنتيه وكل واحد منهما فرسخ فى فرسخ.

ثم يُعَيَّر ويخزى حتى يقول: يا رب ابعثنى إلى النار وارحمنى من مقامى هذا وذلك قوله: ﴿أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ (٣٤) (٣٥)

---

(٣٢) كنز العمال: ٨/ ٢٠٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٠٠ . ١٠١.
(٣٣) ينتحب: يبكى بكاءاً شديداً عالى الصوت.
(٣٤) سورة التوبة: ٦٣.
(٣٥) الخطبة: فى الكنز: ١/ ٢٤٨.

خطبة المعافاة

عن أوس قال: خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: ﴿قام فينا رسول الله ﷺ مقامى هذا عام الأول فقال: «سلوا الله المعافاة - أو قال: العافية - فإنه لم يُعْطَ أحَدٌ قط بعد اليقين أفضل من العافية - أو: المعافاة - وعليكم بالصدق فإنه مع البر وهما فى الجنة وإياكم، والكذب؛ فإنه مع الفجور وهما فى النار.

لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله﴾ (٣٦)

خطبته الجامعة

عن عمرو بن دينار قال: خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: ﴿أوصيكم بتقوى الله لفقركم وفاقتكم أن تتقوه، وأن تثنوا عليه بما هو أهله وأن تستغفروه إنه كان غفارا، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وأن تخلصوا لله اليقين فيما بلغكم من كتابه، فإنه أثنى على زكريا وأهل بيته

فقال ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (٣٧) واعلموا أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشترى منكم القليل الفانى، بالكثير الباقى، وهذا كتاب الله لا تفنى عجائبه، فصدقوا قول الله، وانتصحوا كتابه واستصيبوا به ليوم الظلمة فإنما خلقكم لعبادته وأمركم بطاعته (٣٨)

(٣٦) الكنز: ١/ ٢٩٣ وكذا جاء عند الإمام أحمد فى مسنده، والنسائى، والحاكم، وابن حبان.

(٣٧) سورة الأنبياء الآية: ٩٠.

(٣٨) إلى هنا جاء فى العقد الفريد: ٤/ ٦١ - ٦٢ وعيون الأخبار: ٢/ ٢٣٢ وجمهرة خطب العرب ١/ ٧٢ وكذا جاء قريباً من اللفظ فى تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٢٢٤ - ٢٢٥.

واعلموا أنكم تغدون وتروحون، فى آجال قد غُيِّب عنكم علمُهَا، فإن استطعتم أن ينقضى الأجل، وأنتم فى طاعة اللهُ فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، وسابقوا فى مَهَل من آجالكم، من قبل ان تنقضى، فيكون قد أسلمتم إلى سوء أعمالكم فإن قوماً جعلوا آجالهم، ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، فالوحا الوحا، ثم النجاء النجاء، فإن من ورائكم طالبا حثيثا، ممره سريع (٣٩)

واعلموا أنكم ما أخلصتم لله، فربكم أطعتم، وحقكم حفظتم، فأعطوا ضرائبكم فى أيام سلفكم، واجعلوها نوافل بين أيديكم، كى تستوفوا سلفكم وضرائبكم حين فقركم وحاجتكم.

ثم تفكروا عباد الله فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟ وأين الجبارون الذين كان لهم ذكر القتال؟ وأين الذى يعطون الغلبة فى مواطن الحروب؟ قد ضعضع بهم الدهر، وصاروا رميما، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد نُسُوا ونُسِىَ ذِكرُهم، فهم اليوم كلا شىء، وأين الملوك الذين بنوا المدائن العظام، وحصنوها، وجعلوا فيها الأعاجيب؟ فتلك بيوتهم خاوية وهم فى ظلمات القبور ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (٤٠)

أين الوُضَاءُ الحسَنَةُ وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ قد صاروا رميماً. وأين من تعرفون من أصحابكم وإخوانكم؟ قد وردوا على ما قَدَّمُوا فحلوا فى الشقوة والسعادة.

(٣٩) كنز العمال: ٨/ ٢٠٦ وكذا نهاية الأرب: ١٩/ ٤٣ ـ ٤٤.

(٤٠) سورة مريم الآية: ٩٨.

(٤١) غاية الأرب: ١٩/ ٤٣ ـ ٤٥ وكذا فى تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

إن الله تبارك وتعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نَسَبٌ يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه به شرا، إلا بطاعته واتباع أمره وإنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم[٤١]﴾

خطبته عند الوفاة

هناك خُطب ذُكِرت فى كتب التاريخ، والسيرة، والخطب ولكن أريد أن ننعم سويا ببعض الأحداث ومعها الخطب (ما ذُكِرَ عند أبو حامد)

ولنبدأ أولا بما ذكره العلامة أبو حامد الغزالى حيث قال:

لما احتصر أبو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة ـ رضى الله عنها ـ فتمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى   إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذا ولكن قولى: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ انظروا ثوبىَّ هذين فاغسلوهما وكفنونى فيهما فإن الحى الى الجديد أحوج من الميت وقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ عند موته

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر ذاك رسول الله ﷺ ودخلوا عليه فقالوا ألا ندعوك طبيباًينظر إليك، قال: نظر إلى طبيبى وقال: إنى فعال لما أريد.

ودخل عليه سلمان الفارسى رضي الله عنه يعوده، فقال: يا أبا بكر أوصنا. فقال: (إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك، واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله فلا تحقرن الله فى ذمته فيكبك فى النار على وجهك).

ولما ثقل أبو بكر رضي الله عنه وأراد الناس من أن يستخلف فاستخلف عمر رضي الله عنه.

فقال الناس له: استخلفت علينا فظاً فماذا تقول لربك؟.

فقال: أقول استخلفت على خلقك خير خلقك.

ثم أرسل إلى عمر رضي الله عنه فجاء فقال: إنى موصيك بوصية.

نص

(اعلم أن لله حقا فى النهار لا يقبله فى الليل وأن لله حقا فى الليل لا يقبله فى النهار وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل.

وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف.

وإن الله ذكر اهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء.

وإن الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذى عملوا فيه فيقول القائل: أنا أفضل من هؤلاء.

وإن الله ذكر أهل الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغباً راهبا ولا يلقى بيديه إلى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق.

فإن حفظت وصيتى هذه فلا يكون غائب أحب إليك من الموت ولابد لك منه وإن ضيعت وصيتى فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ولابد لك منه ولست بمعجزه) (٤٢)

(٤٢) الخبر بكامله فى إحياء علوم الدين للغزالى: ٤/ ٤٥.

ما ذكره الطبرى

أما ما جاء فى شأن خطبته عند الوفاة وما جرى من أحداث، فقد ذكرها الإمام جرير وذكر ما كان نصه:

وعقد أبو بكر فى مرضه التى توفى فيها لعمر بن الخطَّاب عقد الخلافة من بعده.

وذكر أنه لما أراد العقد له دعا عبد الرحمن بن عوف، فيما ذكر ابن سعد، عن الواقدى عن ابن أبى سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، قال: لما نزل بأبى بكر رحمه الله الوفاة دعا عبد الرحمن بن عوف فقال: أخبرنى عن عمر.

فقال: يا خليفة رسول الله، هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل، ولكن فيه غلظة

فقال أبو بكر: ذلك لأنه يرانى رقيقاً، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه، ويا أبا محمد قد رمقته، فرأيتنى إذا غضبت على الرجل فى الشىء أرانى الرضا عنه، وإذا لنت له أرانى الشدة عليه، لا تذكر يا أبا محمد مما قلت لك شيئاً.

قال: نعم

ثم دعا عثمان بن عفان

قال: يا أبا عبد الله، أخبرنى عن عمر

فقال: أنت أخبر به

فقال أبو بكر: على ذاك يا أبا عبد الله؛ قال: اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته، وأن ليس فينا مثله.

قال أبو بكر رحمه الله: رحمك الله يا أبا عبد الله، لا تذكر مما ذكرت لك شيئا.

قال: أفعل

فقال له أبو بكر: لو تركته ما عدوتك، وما أدرى لعله تاركه، والخيرة له ألا يلى من أموركم شيئاً، ولوددت أنى كنت خلواً عن أموركم، وأنى كنت فيمن مضى من سلفكم، يا أبا عبد الله، لا تذكرن مما قلت لك من أمر عمر، ولا مما دعوتك له شيئا.

وأشرف أبو بكر على الناس من كنيفة، وأسماء ابنة عميس ممسكته، موشومة اليدين، وهو يقول: أترضون بمن استخلف عليكم؟، فإنى والله ما ألوت «قصرت» من جهد الرأى، ولا وليت ذا قرابة، وإنى قداستخلفت عمر ابن الخطَّاب، فاسمعوا له وأطيعوا.

فقال: سمعنا وأطعنا.

وعن قيس قال: رأيت عمر بن الخطَّاب وهو يجلس والناس معه، وبيده جريدة، وهو يقول: أيها الناس، اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله ﷺ إنه يقول: إنى لم آلكم نصحاً»

قال أبو جعفر: وقال الواقدى: حدثنى إبراهيم بن أبى النضر، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، قال: دعا أبو بكر عثمان خاليا.

فقال: اكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة إلى المسلمين، أما بعد، فقال: ثم أُغمى عليه فذهب عنه، فكتب عثمان: أما بعد، فإنى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطَّاب، ولم آلكم خيراً منه، ثم أفاق أبو بكر، فقال: اقرأ علىَّ،

فقرأ عليه فكبر أبو بكر، وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افْتَلَتَتْ نفسى فى عشيتى؛ قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله، وأقرها أبو بكر رضي الله عنه من ذا الموضع.»

دخل عبد الرحمن بن عوف على الصديق فقال: أصبحت والحمد لله بادئاً (٤٣)؛ فقال أبو بكر رضي الله عنه: أتراه؟

قال: نعم

قال أبو بكر الصديق

نص

إنى وليت أمركم خيركم فى نفسى، فكلكم ورغم أنفه فى ذلك، يريد أن يكون الأمر له دونه، ورأيتم الدنيا أقبلت ولم تقبل، وهى مقبلة حين تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج، وتألموا الاضطجاع على الصوف الأذرى، كما يألم أحدكم أن ينام على حسك.

والله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حد خير لى من أن يخوض فى غمرة الدنيا وأنتم أول ضال بالناس غداً، فتصدونهم عن الطريق يميناً وشمالاً. يا هادى الطريق، إنما هو الفجر أو البحر».

فقال ابن عوف: خفض عليك رحمك الله، فإن هذا يهيضك فى أمرك، إنما الناس فى أمرك بين رجلين: إما رجل رأى ما رأيت فهو معك، وإما رجل خالفك فهو مشير عليك وصاحبك كما تحب، ولا نعلمك أردت إلا خيراً، ولم تزل صالحاً مصلحاً وأنك لا تأس على شىء من الدنيا.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

(٤٣) بارئا: شُفِىَ وطاب من مرضه.

نص

أجل، إنى لا آس على شىء من الدنيا؛ إلا على ثلاث فعلتهن ووددت أنى تركتهن، وثلاث تركتهن وددت أنى فعلتهن، وثلاث وددت أنى سألت عنهن رسول الله ﷺ:

فأما الثلاث اللاتى وددت أنى تركتهن: فوددت أنى لم أكشف بيت فاطمة عن سىء. وإن كانوا قدغلقوه على الحرب، وددت أنى لم أكن حرقت الفُجاءة السُّلمى، وإنى كنت قتلته سريحاً أو خليته نجيحاً، وددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين «يقصد عمر، وأبا عبيدة» فكان أحدهما أميراً، وكنت وزيراً.

وأما اللاتى تركتهن: فوددت أنى يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه، فإنه تخيل إلى أنه لا يرى شراً إلا أعان عليه، ووددت أنى حين سيرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة كنت أقمت بذى القصة، فإن ظفر المسلمون ظفروا، وإن هزموا كنت بصدد لقاء أو مدداً، وودت أنى كنت إذا وجهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجهت عمر بن الخطّاب إلى العراق، فكنت بسطت يدى كلتيهما فى سبيل الله - ومد يديه -.

والثلاث اللاتى وددت أنى كنت «سألت رسول الله ﷺ عنهن: لِمَنْ هذا الأمر؟ فلا ينازعه أحد، ووددت أنّى كنت سألته: هل للأنصار فى هذا الأمر نصيب؟، ووددت أنى كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة، فإن فى نفسى منهما شيئا.»﴾ (٤٤)

ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام

﴿عن حبيب بن أبى ثابت، عن ابن سابط قال: ﴿لما حضر أبا بكر الموتُ، أرسل إلى عمر فقال:

(٤٤) الخبر بكامله فى تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٢٤٧ - ٢٥٠.

نص

﴿يا عمر إن وُلِّيتَ على الناس، فاتق الله واعلم أن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأن لله عملا بالنهار لا يقبله بالليل، وأنه لا يقبل نافلةً حتى تُؤَدَّى الفريضة.

وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة، باتباعهم الحقَّ فى الدنيا وثِقَله عليهم، وحُقَّ لميزان إذا وضع فيه الحق غدا بأن يكون ثقيلاً.

وإنما خَفَّتْ موازين من خَفَّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخِفَّته عليهم، وحق لميزان إذا وُضِعَ فيه الباطلُ غَداً أن يكون خفيفا

وأن الله ذكر أهل الجنة، فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فإذا ذكرتُهم قلت: إنى لخائف ألا ألحق بهم.

وأن الله ذكر أهل النار، فذكرهم بأسوأ أعمالهم، ورد عليهم أحسَنَها، فإذا ذكرتُهم قلت: إنى لخائف أن أكون من هؤلاء.

وأن الله ذكر آية الرحمة مع آية العذاب، ليكون المؤمن راهباً راغباً، ولا يتمنى على الله، ولا يقنط من رحمته.

فإن أنت حَفِظْتَ وصيتى، فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت، وهو آتيك. وإن أنت ضيعت وصيتى، فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه»﴾ (٤٥)

(٤٥) كتاب الخطب والمواعظ لأبى عبد القاسم بن سلام: ١٩٨ ـ ٢٠٠ وقد جاء نفس النص فى الزهد لابن المبارك، جمهرة خطب العرب: ١/ ٧٧ وإحياء علوم الدين مع الاختلاف فى جزء من النص: ٤/ ٤٠٥ والعقد الفريد: ٣/ ١٤٨.

ما ذكره ابن الجوزى

لما كان أبو بكر الصديق ﷺ فى مرض موته وثَقُلَ واستبان له من نفسه جمع الناس إليه، فقال:

نص

(إنه قد نزل بى ما ترون، ولا أظننى إلا ميت لما بى، وقد أطلق الله أيمانُكم من بيعتى، وحل عنكم عقدتى، وردَّ عليكم أمركم، فأمِّروا عليكم من أحببتم فإنكم إن أمَّرتم فى حياةٍ منِّى كان أجدَرَ أن لا تختلفوا بعد)

فقاموا فى ذلك، وخلوا عليه، فلم تستقم لهم، فرجعوا إليه فقالوا: رأينا يا خليفة رسول الله رأيك.

قال: فلعلكم تختلفون.

قالوا: لا

قال: فعليكم عهد الله على الرضا.

قالوا: نعم.

قال: فأمهلونى حتى أنظر لله ولدينه ولعباده.

فأرسل أبو بكر الصديق ﷺ إلى عثمان بن عفان فقال: أشر على برجل ووالله إنك عندى لها لأهل ومَوضعُ

فقال: عمر

فقال الصديق: اكتب

فكتب حتى انتهى إلى الاسم فَغُشِيَ عليه، ثم أفاق

فقال: اكتب عمر

وكانت آخر خطبة خطبها، جمع فيها الناس وحُمِلَ إلى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

نص

أيها الناس، احذروا الدنيا، ولا تثقوا بها، فإنها غَدَّارَة، وآثروا الآخرة على الدنيا واحبوها، فبحب كل واحدة منهما تبغَضُ الأخرى.

وإن هذاَ الأمر الذى هو أَملَكُ بنا، لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوَّلَهَ ولا يتحمله إلا أفضلكم مقدرة، وأملككم لنفسه، وأشدكم فى حال الشدة، وأسلسكم فى حال اللين، وأعملكم برأى ذوى الرأى، لا يتشاغل بما لا يعنيه، ولا يحزن لما ينزل به، ولا يستحى من التعلم، ولا يتحير عند البديهة، قوى على الأمور، لا يجوز لشىء منها حده بعدوان ولا تقصير، يَرصُد لما هو آت عَتَاده من الحذر والطاعة، وهو عمر بن الخطاب﴾ (٤٦)

وهذه هى آخر خطبة خطبها الصديق وقد سقتها إليكم، وكأنى أشعر أنى حييت معه، وشعرت بما فيها، من كلمات، واستشعرت وفاته، رحمة الله عليك يا صديق الأمة يا من أخلصت القول والعمل ولا نزكى أحدا على الواحد الديان،

نعم استشعرت وفاته وكأنه يقول:

بموقف ذُلِّى دون عزتك العظمى ... بمخفى سر لا أحيطُ به علما

بإطراق رأس (٤٧) باعترافى بذلتى ... بِمَدِّ يدى أسْتَمطِرُ الجودَ والرُّحْمَى

(٤٦) الخبر بكامله فى سيرة عمر بن الخطّاب لابن الجوزى: ٦٦ ـ ٦٨.

(٤٧) إطراق رأس: أمالة رأس إلى صدرى وسكت ولم أتكلم حيرة وخوفاً.

بأسمائك الحسنى التى بعض وصفها ... لعـزَّتها يستغرق النثر والنظما
بعـهـد قـديم من أَلَسْتُ بربكم؟ ... بِمَدٍّ كان مكنونا فعُرِّفَ بالأسما
أذقنا شراب الأنس (٤٨) يا من إذ سقى ... محبا شراباً لا يُضام ولا يظما

وحتى لا أطيل عليكم بكلامى، فهيا بنا سويا نمضى إلى الإفادة التى تعودنا على ذكرها فى نهاية كل فصل حتى يتم بها محصول الفهم وكامل النفع والله وحده أسأل الإفادة التامة

(٤٨) المقصود الراحة والسكينة والهدوء وهى ما يوحى به قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٧، ٢٨).

الإفادة

فى هذه الإفاده سنستعرض بأمر المولى عزَّ وجلَّ الى خطب المواعظ، وبالطبع هذه الخطب ما أكثرها فى عصرنا الحديث، ولكن رغم كثرتها فإنها لا تحقق الغرض، وتبقى الأمة بأسرها على هذا الموضع المخجل فَلِمَ؟...... لِمَ؟........؟ لِمَ؟

إذا أردنا الإجابة فلننظر ملياً إلى خطب المواعظ للصديق أبو بكر ولنتعلم منه عسى الله أن ينفعنا فنغير من نمطية هذا المجتمع، أو ندفع بأمة محمد إلى اتباع منهج وسُنَّة محمد ﷺ.

إن ما يفرق خطب المواعظ عند الصديق أبو بكر عن خطبنا عدة أمور وهى:

الأمر الأول: الصدق واليقين:

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يتمتع بالصدق واليقين، فللأسف الدعاة فى عصرنا اتخذوا الدعوة مهنة، والدعوة لا يمكن أبداً أن تكون مهنة للتكسب، ولكن الدعوة عمل عظيم لا يقوم به إلا من أخلص بالقول والعمل وتمتع بالصدق واليقين.

ونضرب مثلا للصدق فنقول: يقوم الداعية فى الناس فيوصيهم بأشياء كثيرة ثم ينظر من يستمع إلى القول بعين ساخرة إلى الداعية لأنه يعلم جيداً أن كلامه لا صدق فيه فهو لا يفعل أى شىء من أقواله. هذا إذا كان الناظر من عامة الناس فيترك كلام الداعية وينصرف عنه نهائيا، ولكن إن كان من الخاصة فإنه سيعمل بأقوال الداعية ولكنه سينظر نظرة تَحسر على هذا الداعية الغارق فى الأكاذيب.

وإذا أردنا أن ننظر إلى صدق الصديق فلنقرأ سويا حديث جاء فى

صحيح مسلم وهو: عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أصبح منكم اليوم صائماً؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن تَبِعَ منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضا؟» قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة»﴾ (٤٩)

هذا الحديث هو أكبر دليل على صدق أبى بكر الصديق رضي الله عنه فهو ينفذ تعاليم الإسلام لذا عندما يأمر المسلمين بالعمل بها فلا يجد سوى السمع والطاعة.

ونستطيع الاستشهاد بكلام ابن عوف الذى ذكرناه فى خطب الصديق عند وفاته وكان تحت عنوان ما ذكره الطبرى.

ولقد قال عبد الرحمن بن عوف للصديق: خفض عليك فإن هذا يهيضك فى أمرك؟ إنما الناس فى أمرك بين رجلين: إما رجل رأى ما رأيت فهو معك، وإما رجل خالفك فهو مشير عليك وصاحبك كما تحب، ولا نعلمك أردت إلا خيراً، ولم تزل صالحاً مصلحاً وأنك لا تأتى على شىء من الدنيا.

هذا ما قاله عبد الرحمن بن عوف، وكان على هذه المقولة أغلب الصحابة فلقد رأوا الصديق أحرص الناس على طاعة الله فعندما يأمرهم لا يجد منهم سوى السمع والطاعة، فهو يأمرهم ليسعوا جميعاً إلى الله.

أما بالنسبة لليقين:

فَلِىَ تعليق بسيط: وهو أن أغلب الدعاة والخطباء إلا من رحم ربى لا يملكون جزءاً بسيطا من اليقين، وتحضرنى قصة جميلة صدقونى لست أدرى مدى صدقها ولكنى أقبلها وهى: (يحكى أن هناك شيخا يعظ بالناس

(٤٩) صحيح مسلم بشرح النووى: ٧/ ٣٨٩، ورواه النسائى فى المناقب «فى الكبرى» على ما فى تحفة الأشراف: ١٠/ ٩٥.

ولكنه لا يمتلك اليقين، فكان الناس لا يرون رأيه، ولا يلتزمون بكلامه، وينطلق من ألسنتهم السخرية والنكات عليه، وفى يوم من الأيام جاء ليحدثهم عن التوكل وهنا احْمَرَّ وجهه وأخذ يصيح فيهم صياحاً عاليا: توكلوا على الله حتى تعبروا البحر كما عبر الصحابة من قبل بغير سفن ولكن جُمِدَ لهم الماء.

وهنا قال أحد الجالسين: يا شيخنا وهل يجمد الماء بالتوكل؟

فقال الشيخ: نعم

فقالوا جميعاً فى وقت واحد: أرنا ذلك

فارتعد الشيخ وقال: ليس اليوم على كل حال.

فأصر الحاضرون على أن يفعل الشيخ ذلك اليوم.

فقال: لا بأس

وذهبوا إلى ترعة مجاورة ولكنها على عمق كبير وعندما وقف الشيخ عند حافتها قال: كبلونى - اربطونى - بحبل قوى، ثم قال: توكلت على الله ونزل الماء فكاد أن يغرق، وضحك كل من حضر)

إن كانت القصة كاذبة فعذراً فقد سمعتها من أشخاص ليسوا عندى على قدر من الثقة وإن كانت صادقة فهى تمثل حال أغلب الدعاة، بالطبع الدعاة لن ينزلوا البحر كما فعل صاحب القصة، ولكنهم يُعْزَوْن إلى أنفسهم ما ليس بهم، فصاحب القصة كان من باب أولى أن يقول: (إن إيمان الصحابة وتوكلهم ليس كإيماننا فهم على قدر من الهدى نسأل الله أن تبلغه) إن كان قال ذلك كان سينعم بالمصداقية واليقين ولكنه أصرَّ على أن يقينه كيقين الصحابة فهو يستطيع أن يكون مثلهم فنال الضحك بدلا من أن ينال الاتباع.

وسيسأل الجميع ومن أين يأتى اليقين؟، وهنا سأقول: اسألوا صاحب رسول الله ﷺ. أبو بكر الصديق وهو يخبركم، أو اسمحوا لى أن أكتب لكم

هذا الحديث عن رسول الله ﷺ.

أخبر يونس عن ابن شهاب حدثنى سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن: أنهما سمعا أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يسوق بقرة لهُ، قد حَمَلَ عليها، التفتت إليه البقرة فقالت: إنى لم أخلق لهذا، ولكنى إنما خُلِقت للحرث»، فقال الناس: سبحان الله؛ تعجبا وفزعاً. أبَقَرَةٌ تَكَلَّمُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «فإننى أومِنُ به، وأبو بَكر، وعُمَرُ»

(قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ : «بينا رَاعٍ فى غنمه، عدا عليه الذئب فأخذ منها شاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِى حتى استنقذَها منه، فالتفت إليه الذِّئبُ، فقال له: من لها يو السَّبُع، يوم ليس رَاعٍ غيرى» فقال الناس: سبحان الله؛ فقال رسول الله ﷺ: «فإنِّى أُومِنُ بذلك. أنا، وأبو بكر، وعمر») (٥٠)

هذا الحديث يوضح لنا جميعا يقين وصدق أبى بكر، ولقد بلغ من شدة يقينه أن رسول الله ﷺ لم يسأله ولكنه يعلم إجابته ومن هنا قال النووى فى شرح الحديث: «قال العلماء على هذا: إنما قال ذلك ثقة بهما، لعلمه بصدق إيمانهما وقوة يقينهما، وكمال معرفتهما لعظيم سلطان الله، وكمال قدرته (٥١)

لذا أخى الداعية اجلس مع نفسك وتأكد من صدقك ويقينك واعرض بعض الأمور على نفسك فإن رأيت الإيمان واليقين فسر على طريق الدعوة وإن رأيت عدم توافرهما فابدأ أولا بالبحث عن اليقين والصدق وجرب رحلة تبدأ بـ «حسبنا الله ونعم الوكيل» وتنتهى بـ «صدقوا ما عاهدوا الله عليه» ثم قم بالدعوة كما صنع صديق الأمة.

---

(٥٠) الحديث فى صحيح مسلم بشرح النووى: ٧/ ٢٨٩ ـ ٣٩٠، والنسائى فى المناقب: ١٠/ ٧٠ وحديث الذئب جاء أيضا فى البخارى فى فضائل الصحابة فى الفتح: ٧/ ٤٢ ولكن الخلاف فى السند.

(٥١) انظر مسلم بشرح النووى: ٧/ ٣٩٥.

الأمر الثانى: اعتدال الخطبة:

للأسف الشديد فى عصرنا هذا نرى أموراً غريبة، نرى بعض الخطباء يصعد المنبر، وينسى تماماً نفسه، فيطيل بالساعتين وبالساعه ونصف وهو لا يدرى مدى تألم من يستمع إلى هذا الحشو من الكلام.

وصدق الشافعى حين قال:

لاخـيـر فى حـشـو الكلام إذا اهتـديت إلى عـيـونه

والصـمت أجـملُ بالفـتى من منطق فى غـيـر حـينه

وعلى الفـتى لِطبَـاعِـه سِـمَـةُ تلوحُ على جـبـينه

وبالطبع نحن نعلم جيداً الدعاة الهاوين للميكروفون والدعاة الهاوين لكثرة الحديث.

نعم إن الخطبة أحيانا لا تكون فى نمط وسياق واحد.

هذا بالنسبة للتطويل وأيضا ليس هذا دعوة للتقصير حتى أن بعض المساجدتصلى الجمعة قبل غيرها بعشرات الدقائق.

إذا فالمطلوب «إيجاز غير مخل بتطويل غير ممل» هذا مانستنتجه من خطب الصديق «الكلام المتناسق ذو الطابع الرنام من غير تطويل أو تقصير» وهذا أيضا هدى الحبيب فى السنة فقد ورد أن رسول الله ﷺ كان يعتدل فى خطبته.

إذا فالداعية ينبغى عليه الاعتدال حتى يصل إلى القلوب والأفهام.

الأمر الثالث: المشورة والبيان:

هناك بعض الأمور الثقيلة التى يرى الداعى أنها حسنة وأن فعلها يلزم صلاح حال الأمة ولكنه سيلقى اعتراض، وللأسف لا يلقى الداعية بالا لهذا

الاعتراض بل يطرحها ويصمم عليها فيسبب بلبلة فى الصفوف ، نضرب مثلا إنشاء مكان خاص لصلاة الأطفال بعيداً عن آبائهم، فهناك بعض الأباء ذوى النفوذ يرفضون ذلك ويصلون فى آخر الصف حتى لا يبتعد ابنه عنه، وهنا يقوم الداعية فينهر هؤلاء الآباء على المنبر، وهذا خطأ ولكن من الأصوب أن يجلس معهم للمشورة والحل ويبين لهم الحكمة فى ذلك ولماذا يصلى الطفل فى الخلف؛؟ فإذا فعل ذلك لاقى القبول بأمر المولى عزَّ وجلَّ، وهناك أمثلة كثيرة لا داعى لذكرها فكلنا نعلمها ولكن لنجعل حلها كما فعل الصديق أثناء توليته عمر، عَمِلَ أولا بالمشورة، ثم البيان، فلقد استشار أهل الرأى، ثم أبان وجهة نظره فى هذه المسألة فوجد القبول من كل من استمع، فياليت كل الدعاهة يروا ذلك فى دعوتهم الخاصة بالأمور المستحسنة والضرورية ولكنها لا تحمل نصاً ثابتا يرتكن عليه الداعيه، غير الاستحسان للأمر.

وأخيرا أختم هذا الفصل قائلا هذه الإفادة البسيطة وهذه الأمور الثلاثة عظيمة جداً فَعَلَها الصديق لتكون مشعَلاً فى طريق الدعوة والدعاة، ولنستضئ كلنا بهذا المشعل عسى الله أن ينير لنا الطريق.



الفصل الثالث

رسائل الصديق أبى بكر

- رسالته إلى القبائل المرتدة

أولا :رسالته إلى القبائل المرتدة عند ابن كثير

ثانيا: ما جاء عند الإمام الطبرى

- ما كتبه لقواده حين وجههم لفتح العراق

- ماكتبه لقواده الموجهين لفتح الشام

- رده على رسالة عبيدة بن الجراح فى حرب الشام

- رسالة الصديق لمنع الفساد فى قرى الدَّارِيين

- الإفادة



الفصل الثالث
رسائل الصديق أبى بكر رضي الله عنه

فى هذه السلسلة المتواضعة «سلسلة الدعوة والدعاة» رأيت أن أجمع الخطب والرسائل، لأن الخطب تفيد فى ميدان الدعوة وأمرها معروف ولكنى أرى الجميع سيسألون فى نفس واحد ما دور الرسائل؟

وهنا اسمحوا لى أن أقول: إن الرسائل التى أرسلها الصديق ما هى إلا خطب أخذت الشكل الكتابى بدلا من الصعود إلى المنبر أو الحديث إلى الناس، ولست أرى أبداً أى فرق بين رسالة تخدم الدعوة وخطبة لها نفس الشأن، لذا فتعلم رسائل الصديق أبو بكر رضي الله عنه أمر لازم لكل من يعمل فى ميدان الدعوة، فرسائله تحتوى على كلمات ومواعظ وأحكام إن تعلمها الداعية جيداً ستخدمه فى ميدان الخطابة وحتى لا أطيل عليكم فلنبدأ سويا بعرضها، سائلين المولى عزَّ وجلَّ الاستفادة الكاملة منها.

رسالته إلى القبائل المرتدة

سنذكر إن شاء الله رسالته إلى القبائل المرتدة عند ابن كثير أولا، ثم عند الإمام الطبرى ثانيا، وهى لا تختلف فى النص اختلافاً كثيراً ولكن رأيت أن أذكر نص الاثنين راجيا محصول الإفادة.

أولا: رسالته إلى القبائل المرتدة عند ابن كثير:

يقول العلامة ابن كثير: كتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه لكل أمير كتاب عهده على حدته، ففصل كل أمير بجنده من ذى القصة، ورجع الصديق إلى المدينة وقد كتب معهم الصديق كتابا إلى الربذة وهذه نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم

من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابى هذا، من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والهوى، فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، نقر بما جاء به، ونكفر من أبى ذلك ونجاهده،

أما بعد: فإن الله أرسله بالحق من عنده، إلى خلقه بشيراً ونذيرا، وداعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعا أو كرها ثم توفى الله رسوله، وقد نفذ لأمر الله ونصح لأمته وقضى الذى عليه وكان الله قد بين له ذلك، ولأهل الإسلام فى الكتاب الذى أنزل فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (٥٢) وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ (٥٣) وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٥٤)

فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره، منتقم لعدوه، وإنى أوصيكم بتقوى الله، وحظكم ونصيبكم وما جاءكم به نبيكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يعنه الله مخذول، ومن هداه غير الله كان ضالا. قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (٥٥) ولن يقبل له فى الدنيا عمل عبد

(٥٢) سورة الزمر الآية: ٣٠. (٥٣) سورة الأنبياء الآية: ٣٤.
(٥٤) سورة آل عمران الآية: ١٤٤. (٥٥) سورة الكهف الآية: ١٧.

حتى يقربه، ولم يقبل له فى الآخرة صرف ولا عدل، وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغترارا بالله وجهلا بأمره، وإجباره، وإجابة للشيطان قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ (٥٦) وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٥٧)

وإنى بعثت إليكم فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته أن لا يقبل من أحد إلا الإيمان بالله، ولا يقتله حتى يدعوه الى الله عزَّ وجلَّ، فإن أجاب وأقر وعمل صالحا قبل منه، وأعانه عليه، وإن أبى حاربه عليه، حتى يفىء إلى أمر الله، ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار، وأن يقتلهم شَرَّ قتلة، وأن يسبى النساء والذرارى، ولا يقبل من أحد غير الإسلام فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابه فى كل مجمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فكفوا عنهم وإن لم يؤذنوا فسلوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا حمل منهم على ما ينبغى لهم (٥٨)

هذا هو النص الذى جاء عند العلامة ابن كثير واليكم الأن النص عند الأمام الطبرى

ثانيا: ما جاء عند الإمام الطبرى:

كتاب أبى بكر إلى القبائل المرتدة ووصيته للأمراء، فصلت الأمراء من ذى القصة، ونزلوا على قصدهم، فلحق بكل أمير جنده، وقد عهد إليهم

(٥٦) سورة الكهف الآية: ٥٠.   (٥٧) سورة فاطر الآية: ٦.

(٥٨) البداية والنهاية لابن كثير: ٦/٣٠٠.

عهده، وكتب إلى من بعث إليه من جميع المرتدة.

حدثنا السرى، قال: حدثنا شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن سعيد، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، وشاركه فى العهد والكتاب فعزم فكانت الكتب إلى قبائل العرب المرتدة كتابا واحداً:

بسم الله الرحمن الرحيم

من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابى هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله نقر بما جاء به، ونكفر من أبى ونجاهده. أما بعد.

فإن الله تعالى أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً، ثم توفى الله رسوله ﷺ وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمته، وقضى الذى عليه، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام فى الكتاب الذى أنزله فقال:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (٥٩) وقال ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ (٦٠) وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦١) فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات،

(٥٩) سورة الزمر الآية: ٣٠. (٦٠) سورة الأنبياء الآية: ٣٤.

(٦١) سورة آل عمران: ١٤٤.

ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد، حى قيوم لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم حافظ لأمره، منتقم من عدوه، يجزيه.

وإنى أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله، وما جاءكم به نبيكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه، وان تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يعافه مبتلى، وكل من لم يعنه الله مخذول، فمن هداه الله كان مهتديا، ومن أضله كان ضالا، قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (٦٢) ولم يقبل منه فى الدنيا حتى يقربه، ولم يقبل منه فى الآخرة صرف ولا عدل وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغترارًا بالله، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان، قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (٦٣)

وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٦٤)

وإنى بعثت إليكم فلانا فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقرَّ وكفَّ وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك، ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار، ويقتلهم كل قتلة، وأن يسبى النساء والذرارى، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولى أن يقرأ

(٦٢) سورة الكهف الآية: ١٧. (٦٣) سورة الكهف الآية: ٥٠.

(٦٤) سورة فاطر الآية: ٦.

كتابى فى كل مجمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم، وإن أذنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا قبل منهم، وحملهم على ما ينبغى لهم.﴾ (٦٥)

فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود وخرجت الأمراء ومعهم العهود

«بسم الله الرحمن الرحيم»

هذا عهد من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقى الله ما استطاع فى أمره كله سره وعلانيته، وأمره بالجد فى أمر الله ومجاهدة من تولى عنه، ورجع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم، و،إن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له، ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم، فيأخذ ما عليهم، ويعطيهم الذى لهم، لا ينظرهم، ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر الله عزَّ وجلَّ وأقر له قُبِلَ ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل، وكان الله حسيبه بعد فيما استسر، ومن لم يجب داعية الله قُتِلَ وقُوتِلَ حيث كان، وحيث بلغ مراغمه، لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقر قُبل منه وعلمه، ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله عليه، إلا الخمس فإنه يبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وألا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم لا يكونوا عيونا، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم فى السير والمنزل ويتفقدهم، ولا يعجل عن بعض، ويستوصى بالمسلمين من حسن الصحبة ولين القول﴾ (٦٦)

(٦٥) تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٦٩ ـ ٧١.

(٦٦) تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٧١ ـ ٧٢.

وهنا ينتهى النص على الإمام الطبرى ولنقرأ سويا ما كتب من كتب ورسائل لقواده حين وجههم لفتح العراق.

ما كتبه الصديق لقواده حين وجههم لفتح العراق

كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد يأمره بالتوجه إلى العراق لمساعدة المثنى بن حارثة الشيبانى:

ـ بسم الله الرحمن الرحيم

«من عبد الله أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد والذين معه من المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان سلام عليكم.

فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فالحمد لله، الذى أنجز وعده، ونصر عبده، وأعز وليه، وأذل عدوه، وغلب الأحزاب فرداً فإن الله الذي لا إله إلا هو قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٦٧) وَعْداً منه لا خلف له ومقالاً لا ريب فيه، وفرض الجهاد على المؤمنين، فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٨) فاستتموا موعد الله إياكم، وأطيعوه فيما فرض عليكم، وإن عظمت فيه المئونة، واشتدت فيه الرزية، وبَعُدَت فيه الشقة، وفجعتم فى ذلك بالأموال والأنفس فإن ذلك يسير فى عظيم ثواب الله.) (٦٩)

وهناك زيادة على هذا الحديث جاءت فى جمهرة رسائل العرب وهى

(٦٧) سورة النور الآية: ٥٥. (٦٨) سورة البقرة الآية: ٢١٦.

(٦٩) السنن الكبرى للبيهقى: ٩/ ١٨٢ ـ ١٨٣.

(ولقد ذكر لنا الصادق المصدوق ﷺ أن الله يبعث الشهداء يوم القيامة شاهرين سيوفهم لا يتمنون على الله شيئاً إلا أتاهموه، حتى أعطوا أمانيهم، وما لم يخطر على قلوبهم، فما شيء يتمناه الشهيد بعد دخوله الجنة، إلا أن يردهم الله إلى الدنيا فيقرضون بالمقاريض فى الله، لعظيم ثواب الله» (٧٠)

فاغزوا رحمكم الله فى سبيل الله ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧١) الا وقد أمرت خالد ابن الوليد بالمسير إلى العراق فلا يبرحها حتى يأتيه أمرى فسيروا معه، ولا تثاقلوا عنه، فإنه سبيل يعظم الله فيه الأجر لمن حسنت فيه نيته، وعظمت فى الخير رعيته، فإذا قدمتم العراق فكونوا بها حتى يأتيكم أمرى ،كفانا الله وإياكم مُهِمَّ الدنيا والآخرة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته﴾

هذا ما كُتِبَ لقواده حين وجههم للعراق وهناك أيضا ما كُتِبَ إلى قواده حين وجههم لفتح الشام.

ما كتبه لقواده الموجهين لفتح الشام

كتب الصديق أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه كتابا إلى أهل اليمن ليدعوهم فيه إلى الجهاد ويرغبهم فى ثواب الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

من خليفة رسول الله إلى من قرئ عليه كتابى هذا من المؤمنين والمسلمين، من أهل اليمن.... سلام عليكم.

إنى أحمد الله إليكم الله الذى لا إله إلا هو.

(٧٠) جمهرة رسائل العرب: ١/ ١٢٧.

(٧١) سورة التوبة الآية: ٤١.

أما بعد

فإن الله كتب على المؤمنين الجهاد، وأمرهم أن ينفروا خفافا وثقالا، ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله، والجهاد فريضة مفروضة، والثواب عند الله عظيم، وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، وقد سارعوا إلى ذلك، وقد حسنت بذلك نيتهم وعظمت حسبتهم فسارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه، ولتحسن نيتكم فيه، فإنكم إلى إحدى الحسنيين.

إما الشهادة، وإما الفتح والغنيمة

فإن الله تبارك وتعالى لم يرض من عباده بالقول دون العمل، ولا يزال الجهاد لأهل عداوته حتى يدينوا بدين الحق، ويقروا لحكم الكتاب؛ حفظ الله لكم دينكم، وهدى قلوبكم، وزكى أعمالكم، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين﴾ (٧٢)

رده على رسالة عبيدة بن الجراح فى حرب الشام

سار أبو عبيدة بن الجراح إلى الشام، حتى إذا اقترب من الجابية، أتاه آت فقال: إن هرقل ملك الروم بإنطاكية وإنه قد جمع لكم من الجموع ما لم يجمعه أحدٌ كان قبله من آبائه لأحدٍ من الأمم قبلكم.

فكتب أبو عبيدة إلى أبى بكر رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله أبى بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ، من أبى عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإنى أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو.

(٧٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر: ١/ ١٢٩ . ١٣٠.

أما بعد

وإنا نسأل الله أن يُعز الإسلام وأهله عزاً مبينا، وأن يفتح لهم فتحا يسيراً، فإنه بلغنى أن هرقل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام تدعى أنطاكية، وأنه بعث إلى أهل مملكته فحشرهم إليه، وأنهم نفروا إليه على الصعب والذَّلول، وقد رأيت أن أُعْلِمَكَ ذلك فترى فيه رأيك.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته﴾

فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد

وقد بلغنى كتابُكَ، وفهمتُ ما ذكرت فيه من أمر هِرَقل ملك الروم، فأما مَنزِلهُ بأنطاكية فهزيمة له ولأصحابه، وفتح من الله عليك وعلى المسلمين، وأما ما ذكرت من حَشْرِهِ لكمْ أهل مملكته، وجمعه لكم الجموع، فإن ذلك ما كنا وكنتم تعلمون أنه سيكون منهم، وما كان قوم لِيَدَعُوا سُلْطَانَهُم، ولا يخرجوا من مُلْكِهِم بغير قتال، وقد علمت - والحمد لله - أن قد غزاهُم رجال كثير من المسلمين، يحبون الموت حب عدوهم الحياة ويُجْزَوْنَ من الله فى قتالهم الأجر العظيم، ويحبون الجهاد فى سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم، وعَقَائِل أموالهم، الرجلُ منهم عند الفتح خير من ألف رجل من المشركين، فَالْقَهُم بجندى ولا تستوحش لمن غاب عنك من المسلمين، فإن الله معك، وأنا مع ذلك مُمِدُّك بالرجال حتى تكتفىَ ولا تريد أن تزداد إن شاء الله.

والسلام عليك ورحمة الله﴾ (٧٣)

(٧٣) جمهرة رسائل العرب: ١/ ١٤٥ - ١٤٧.

هذه نص الرسالة وآخر رسالة يكتبها إن شاء الله، هى رسالة أبى بكر الصديق إلى عبيدة بن الجراح ليمنع وقوع الفساد. واسمحوا لى أن أعرض عليكم الرساله تحت عنوان.

رسالة الصديق لمنع الفساد فى قرى الداريين

قبل أن يكتب الصديق هذه الرسالة كانت هناك رساله قديمة من رسول الله ﷺ إلى الدَّاريين وعمل بهذه الرسالة أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - والآن إليكم أولا: رسالة رسول الله ﷺ ثم رسالة الصديق أبى بكر. رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم «هذا ما أنطى (٧٤) محمد رسول الله ﷺ لتميم الدَّارى وأصحابه، إنى أنطيتكم عينون وحبرُون والرطوم، وبيت إبراهيم برُمَّتِهم وجميع ما فيهم نَطيَّةَ (٧٥) بت، ونَفَّذْتُ وسَلَّمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد الأبد، فمن آذاهُمْ فيها آذاه الله»

«شهد أبو بكر بن أبى قُحافة، وعمر بن الخطَّاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، ومعاوية بن أبى سفيان وكتب»

فلما قُبض رسول الله ﷺ وولى أبو بكر رضي الله عنه ووجه الجنود إلى الشام كتب كتابًا هذه نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم

«من أبى بكر الصديق إلى عُبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو»

(٧٤) أنطى: أعطى.

(٧٥) نطيةً: عطية «بلغة أهل اليمن»

أما بعد:

أمنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد فى قُرى الدَّاريينَ، وإن كان أهلها قد جَلَوا عنها وأراد الدَّارِيُّون أن يزرعوها فليزرعوها، فَإذا رجع أهلها إليها فهى لهم وأحقُّ بهم والسلام عليكم» (٧٦)

قلنا بأمر الله أن هذه آخر رساله والآن لنختم الفصل بالإفادة

(٧٦) الخبر بالكامل فى صحيح الأعشى: ١٣/ ١٢٧ ـ ١٢٨، وجمهرة رسائل العرب الجزء الأول من الرسالة: ١/ ٧٢ ـ ٧٣، وتهذيب تاريخ ابن عساكر: ٣/ ٣٥٢.

الإفادة

فى هذه المرة ستكون الإفادة على هيئة نقاط وهى:

١ـ الكتب والرسائل الصادرة عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه كانت تفتتح بلفظ « من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى فلان»

ملحوظة هامة جداً:

أول من أطلق عليه لفظ خليفة رسول الله ﷺ هو الصديق أبى بكر، ثم جاء من بعده عمر بن الخطّاب فكان يقول: «من عمر بن الخطّاب خليفة خليفة رسول الله ﷺ» ثم بعد ذلك أطلق لفظ أمير المؤمنين على عمر بن الخطّاب فهو بذلك أول من أطلق عليه لفظ أمير المؤمنين، وكان يكتب «من عبد الله عمر بن الخطّاب أمير المؤمنين»

ثم بعد ذلك يُصَدّر الكتاب بالسلام والتحميد، والتخلص بأما بعد:

وهذا نفس نظام الخطبة كما قلنا فى مقدمة هذا الفصل.

٢ـ الكتابة فن يشبه فن الخطابة، فينبغى على الخطيب الكاتب أن يراعى من يكتب إليه كما يراعى من يَخْطُبُ فيهم.

٣ـ الكياسة وكشف الحقائق تلزم الداعى والراسل والكاتب، لأن الكياسة تزن الكلمات، وكشف الداعى للحقائق أدعى لعلاج المواقف الجسيمة ولعلنا نرجع سويا إلى رسالته التى أرسلها إلى عبيدة بن الجراح عندما طلب منه المدد لمقابلة جيش الروم، فوجدنا الرد منه «أن هذا متوقع، وأن معك يا عبيدة أُناس لا يهابون الموت، أقوياء قادرين على النصر بأمر المولى عزَّ وجلَّ» ثم أخبره أنه سيرسل المدد، ومن هذا الرد نرى مدى الكياسة وكشف الحقائق أتدرون لِمَ؟

لأن الصديق يرى أنه ربما لن يصل المدد إلا بعد ما تقع الحرب فكيف يقود قائد جيشه إلى النصر وهو يرى أن عدد من معه قليل وأن العدو ذو شوكة كبيرة، لذا ثبته أبو بكر الصديق رضي الله عنه برسالته ثم طمأنه ولكن التثبيت قبل الطمأنينة.

لذا فَعَلَى الداعى أن يلتزم بالكياسة والفطنة وحسن النظر فى عواقب الأمور قبل أن يبدأ بالكلام والاسترسال فى حديثه.

والله عزَّ وجلَّ نسأله الحكمة والكياسة وحسن الفطنة وانكشاف الأمد قبل الكلام والدعوة اللهم آمين.

وأختم بأبيات شعر للإمام الشافعى:

إذا المشكلاتُ تصدَّيْن لى	كشفتُ حقائقَها بالنَّظر
لسانى كَشِقْشِقَةِ الأرْحَبىِّ	وكالحُسَام اليمانى الذكر
ولست بإمعة [77] فى الرجال	أسائلُ هذا وذا ما الخبر؟
ولكننى مِدْرَهُ الأصْغرَيْن [78]	جَلاَّبُ خَيْرٍ ودفَّاعُ شرٍ

(٧٧) الإمعة: الرجل الذى لا رأى له.

(٧٨) الأصغران: القلب واللسان كما فى الحديث «المرؤ بأصغريه قلبه ولسانه».

الفصل الرابع

فضائل أبى بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ



الفصل الرابع
فضائل أبى بكر الصديق رضي الله عنه

رأينا بأمر المولى عزَّ وجلَّ أن يكون هذا آخر فصل فى الكتاب، وأرى الجميع. يسألون... لِمَ؟ مع أنه كان من المفروض أن يكون أول فصول الكتاب؛

والرد بسيط وهو لقد عرضت لكم فى كتابى السابق حياة الصديق ولم أعرض عليكم فضائله، ثم جمعت خطبه ولم أعرض فضائله، فازداد تشوق الجميع إلى معرفة الفضائل.

وهذا أسلوب فى الكتابة وهو طرح عظمة أمر ثم بيان لهذا الأمر فالبيان يأتى على شوق من القارىء، وحتى لا نطيل فلنمضى سويا لنرى فضائل الصديق أبى بكر رضي الله عنه وأرضاه.

حديث الغار

حدثنا همام. حدثنا ثابت، حدثنا أنس بن مالك:، أن أبا بكر الصديق حدثهُ قال:نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن فى الغار. فقلت: يا رسول الله؛ لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه.

فقال: «يا أبا بكر؛ ما ظنك بأثنين الله ثالثهما» (٧٩)

قال الإمام النووى فى شرح الحديث:

«يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»

معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد، وهو داخل فى قوله

---

(٧٩) رواه البخارى فى فضائل الصحابة: انظر فتح البارى: ٧/ ٨، وزواه الإمام مسلم. انظر صحيح مسلم بشرح النووى: ٧/ ٣٨٤، ورواه الترمذى فى تفسير سورة التوبة: ٥/ ٧٨).

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨) وفيه: بيان عظيم توكل النبى ﷺ حتى فى هذا المقام وفيه: فضيلة لأبى بكر رضي الله عنه، وهى من أجلِّ مناقبه، والفضيله من أوجه منها: هذا اللفظ، ومنها: بذله نفسه، ومفارقته أهله وماله ورياسته فى طاعة الله ورسوله، وملازمة النبى ﷺ، ومعاداة الناس فيه، ومنها: جعله نفسه وقاية عنه، وغير ذلك.

فطنة الصديق

عن عبيد بن حنين، عن أبى سعيد، أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: «عَبْدُ خَيَّرُه الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فأختار ما عنده»

فبكى أبو بكر، وبكى. فقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا.

قال فكان رسول الله ﷺ هو المخير. وكان أبو بكر أعلمنا به. وقال رسول الله ﷺ «إن أمَنَّ الناس عَلَيَّ فى ماله وصحبته أبو بكر و لو كنت متخذًا خليلاً لأتخذت أبا بكر خليلا. ولكن أُخُوَّة الإسلام لا تُبْقَيَنَّ فى المسجد خَوْخَة إلا خوْخَة أبى بكر»﴾ (٨٠)

قال الإمام النووى فى هذا الحديث:

قوله ﷺ: «عبد خيره الله بين أن يُؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده، فبكى أبو بكر، وبكى، وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا» هكذا هو فى جميع النسخ﴿ فبكى أبو بكر، وبكى» معناه بكى كثيرا، ثم بكى، والمراد بزهرة الدنيا نعيمها وأعراضها وحدودها، وشبهها بزهرة الروض، وقوله: «فديناك» دليل لجواز التفدية، وكان أبو بكر رضي الله عنه علم أن النبى ﷺ هو العبد المخير فبكى

(٨٠) انظر فتح البارى: ١/ ٥٥٨، ومسلم بشرح النووى: ٧/ ٣٨٥، والترمذى: ٥/ ٦٠٨ ـ ٦٠٩، ورواه النسائى فى المناقب (فى الكبرى) على ما فى تحفة الأشراف: ٣/ ٣٩٦.

حزنًا على فراقه، وانقطاع الوحى، وغيره من الخير دائما، وإنما قال ﷺ: « أَنَّ عبدٌ» وأبهمه لينظر فهم أهل المعرفة ونباهة أصحاب الحذق (٨١)

«أى أنه أبهم الأمر ليرى أن كان الصحابة سيفهمون أم لا، وبالطبع كان الصديق أبو بكر هو الفطن النبيه الذى أدرك ذلك سريعاً ولذلك بكى»

ومعنى كلمة خَوخة بفتح الخاء:هو الباب الصغير بين البيتين أو الدارين.

أبو بكر رضي الله عنه أخ وصاحب لرسول الله ﷺ

عنه حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن إسماعيل بن رجاء. قال: سمعت عبد الله بن أبى الهذيل يحدث عن أبى الأحوص، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يحدث عن النبى ﷺ أنه قال: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخى وصاحبى، ولقد اتخذ الله عزَّ وجلَّ صاحبكم خليلا﴾ (٨٢)

﴿حدثنا يحيى بن يحيى. أخبرنا خالد بن عبد الله عن خالد عن أبى عثمان. أخبرنى عمرو بن العاص، أن رسول اللهﷺ بَعَثَهُ على جيش ذات السلاسل. فأتيته فقلت: أى الناس أحب إليك؟

قال: «عائشةُ»

قلت: من الرجال؟

قال: «أبوها»

(٨١) مسلم بشرح النووى: ٧/ ٣٩١.

(٨٢) مسلم بشرح النووى: ٧/ ٣٨٥، والنسائى فى المناقب «فى الكبرى» على ما فى تحفة الأشراف: ٧/ ١٢٣.

قلت: ثم من؟

قال: «عمر فَعَدَّ رجالاً» (٨٣)

عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه أن امرأه سألت رسول الله ﷺ شيئا. فأمرها أن ترجع إليه.

فقال: يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجدك؟.

قال أبى: «كأنها تعنى الموت»

قال: «فإن لم تجدينى فاتى أبا بكر» (٨٤)

يقين الصديق وإيمانه

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يسوق بقرة له، قد حمل عليها التفتت إليه البقرة فقالت: إنى لم أخلق لهذا ولكنى خلقت للحرث»

فقال الناس: سبحان الله؛ تعجباً وفزعاً. أبقره تَكَلَّمُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «فإنى أومن به، وأبو بكر، وعمر»

قال أبو هريره: قال رسول الله ﷺ: «بينما راع فى غنمه، عدا عليه الذئب فأخذ منها شاه. فطلبه الراعى حتى استنقذها منه. فالتفت إليه الذئب فقال له: من لها يوم السَبُعِ، يوم ليس لها راع غيرى؟»

فقال الناس: سبحان الله؛

فقال رسول الله ﷺ: «فإنى أؤمِنُ بذلك. أنا، وأبو بكر، وعمر»﴾ (٨٥)

(٨٣) فتح البارى: ٧/ ١٨، ومسلم بشرح النووى: ٧/ ٣٨٧، والترمذى: ٥/ ٧٠٦.

(٨٤) الفتح: ٧/ ١٧، ومسلم بشرح النووى: ٧/ ٣٨٨.

(٨٥) سبق تخريجه ص ٦٤.

قال العلماء: إنما قال ذلك ثقة بهما، لعلمه بصدق إيمانهما وقوة يقينهما، وكمال معرفتهما بعظيم سلطان الله وكمال قدرته، ففيه: فضيلة ظاهرة لأبى بكر، وعمر - رضى الله عنهما ..

زهرة الصديق

بعد أن ذكرنا فضائل الصديق رأيت أن أختم هذا الكتاب المتواضع بزهرة أعطاها لنا الصديق على هيئة خطبة هذه الزهرة أرجو أن تروها جيداً فتكون أمام أعينكم دائما ، تنعمون برائحتها وتتخذونها ضياء لطريقكم هذه الزهرة هى.

روى عن عوانة أنه قال: جاء مال من البحرين إلى أبى بكر الصديق ﵁ فساوى فيه بين الناس، فغضبت الأنصار.

وقالوا له: فَضِّلْنا.

فقال: إن أردتم أن أفضلكم فقد صار ما عملتموه للدنيا وإن شئتم كان ذلك لله.

فقالوا: والله ما عملناه إلا لله؛ وانصرفوا.

فرقى «صعد» أبو بكر ﵁ المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

يا معشر الأنصار لو شئتم أن تقولوا إنا آويناكم وشاركناكم أموالنا ونصرناكم بأنفسنا لقلتم وإن لكم من الفضل ما لا يحصى له عدد، وإن طال الأمد، فنحن وأنتم كما قال الغنوى:

جزى الله عنا جعفرا حين أَزْلَقَتْ ... بنا نعلُنا فى الوطأتين فَـزَلَّتِ

أبـوا أن يَمَلّونا ولَوْ أنَّا أُمَّنّا ... تُلاقِى الذى لا يلقون مِنَّا لَمَلتِ

فذو المال موفور وكُلُّ مُعَصَّبُ ... إلى حُجُراتٍ أدفأتْ وأَظَلّتِ

هم أسكنونا فى ظلال بيــوتهم ظلال بيوتٍ أدفـأت وأكَنَّتِ (٨٦)

ما أعظمها من زهرة، بها رائحة الاعتراف بالجميل لأهل الجميل، ولكن ليكن السعى والعمل من أجل الله من أجل الله وفقط فهيا بنا أحباب رسول الله ﷺ نعلم ونعمل من أجل الله فقط.

فالداعى الحق لا يرجو سوى الله، والمؤمن الحق أعماله كلها لله، اللَّهم إنا نسألك علما وعملا من أجل وجهك الكريم اللَّهم آمين.

(٨٦) صحيح الأعشى: ١٣/ ١١٥ ـ ١٢٦.

أهم المراجع

١- البداية والنهاية - للحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير المشهور بـ «ابن كثير»

٢- تاريخ الطبرى «تاريخ الأمم والملوك» - للإمام الحافظ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى

٣- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى - للمبار كافورى

٤- حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء - للحافظ أبى نعيم.

٥- الخطب والمواعظ لأبى عبيد القاسم بن سلام

٦- الزهد للإمام الحافظ عبد الله المبارك المروزى

٧- الزهد للإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل

٨- سنن أبى داود

٩- سنن ابن ماجه

١٠- سنن النسائى

١١- السنن الكبرى للبيهقى

١٢ - شعب الإيمان - للبيهقى

١٣ - صحيح ابن حبان

١٤ - صحيح مسلم بشرح النووى

١٥ - فتح البارى شرح صحيح البخارى «لابن حجر العسقلانى»

١٦ - كنز العمال فى سنن الأقوال والأعمال للمهندى

١٧ ـ مسند الإمام أحمد

١٨ ـ المعجم الكبير للطبرانى

١٩ ـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى

٢٠ ـ ديوان الإمـام الشـافعى للإمـام محـمـد بن إدريس بن العبـاس الشافعى:

للإمام محمد بن إدريس بن العباس الشافعى.

الفهـــرس